الدلائل القرآنية على توحيد الربوبية

د. أحمد بن عبد الله الغنيمان

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فهذا ملخص للبحث المعنون بـ «الدلائل القرآنية على توحيد الربوبية».

يهدف البحث إلى ذكر أهمية معرفة دلائل الربوبية والتي فطر الله العباد على الإقرار بها ، وقد ذكر الله جل جلاله أنواعا من هذه الدلائل مختلفة وبأساليب متنوعة تجعل المؤمن يزداد إيمانا والجاحد يرجع إلى فطرته ويقر بوجوده بل وبوجوب عبادته .

وقد قسم الباحث البحث إلى مقدمة ذكر فيها أهمية الموضوع وخطته وأتبعه بتمهيد تحدث فيه عن معنى الدلائل وتعريفاتها وكذا تعريفات أهل العلم لتوحيد الربوبية ثم دراسة بين فيها أهمية دلائل توحيد الربوبية .

ثم شرع الباحث بذكر الدلائل الواردة في كتاب الله جل وعلا والتي تتلخص في خمسة أدلة هي :

الأول: دليل الفطرة وفيه بيان أن العباد أقروا بربهم جل وعلا بما جبلوا عليه من معرفة بفطرتهم السالمة من الموانع ، فكان ذلك دليلا على وجوده ووجوب عبادته .

أما الدليل الثاني: فتحدث فيه الباحث عن دليل الخلق وهو معرفة العباد لربهم بالاستدلال بالمخلوق على الخالق مما لا يدع مجالا للشك في وجوده ومن ثم وجوب عبادته ، ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور: ٣٦].

أما الدليل الثالث فهو دليل العناية ويقصد به الإتقان والإحكام لهذه المخلوقات الذي بهر العقول وجذب النفوس الملحدة إلى التسليم بوجوده وتفرده بالربوبية والألوهية ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾.

والدليل الرابع: فهو دليل الضرورة الملحة التي يجدها كل إنسان من انجذاب الروح إلى التعلق به واللجوء إليه وخصوصا وقت الاضطرار ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ .

والدليل الخامس: دليل معرفة الله بالله ويقصد به الاستدلال بأفعال الله وصفاته عليه وعلى وجوده ووجوب عبادته وهو دليل الخواص كما سماهم بعضهم .

والدليل السادس: إجماع الأمم الذي شهد به القاصي والداني وأجمع عليه من في الأرض إلا من شذ .

أما السابع: فهو دليل عقلي يقصد منه الإقرار بوحدانية الله في ألوهيته وربوبيته وهذا الدليل مبني على أنه يمتنع شرعاً وعقلاً وجود فاعلين تامي القدرة والإرادة في مفعول واحد هما عليه تاما القدرة والإرادة المبحث السابع.

وختم الباحث بحثه بأهم النتائج التي توصل إليها في البحث .

Abstract

of the treatise entitled

Quranic Arguments for Unifying the Lordship

Praise be to Allah and peace and blessings be upon the Messenger of Allah, and after:

The research aims to mention the importance of knowing the Arguments of the Lordship, which, God created mankind to recognize. Allah, Almighty, has mentioned different types of these Arguments, and in different ways, that make a believer increasing in his belief. The disbeliever returns to his nature and acknowledges His existence and even the necessity of His worship.

The researcher has divided the treatise into a preface in which he mentioned the importance of the subject and its plan, following it with a foreword, in which talked about the meaning of the Arguments, and their definitions, as well as definitions of the scholars to Tawheed al Ruboobiyah (unifying the lordship), then the study, in which, he mentioned the importance of Arguments of unifying the lordship, then started in mentioning the Arguments came in the Book of Allah, the exalted, which sums up in five kinds, that are:

Argument of Nature; and the statement that mankind admitted to their Lord Almighty, by the knowledge of their natures they were created upon, which were safe of inhibitions, so that was an evidence to His existence and the necessity of His worship.

The second argument: the researcher spoke of the evidence of creation. That mankind aknowledges to their Lord inferring on the Creator from His creature. That leaves no way for doubt in his existence and then in necessity of His worship

The third argument: evidence of design and care, which means the perfection and precision for these creatures that dazzle the minds and attract the souls of atheists to admit to His existence and singularity in Lordship and Worship.

The fourth argument: evidence of natural pressing necessity, that every human finds an attraction of soul to

adhare Him and seek shelter in Him, specially at the time of an emergency.

The fifth argument: evidence of knowing God by Himself. That means to infer from the actions of God and His attributes on Him, and on His existence and necessity of His worship. It is an evidence for special people as some of them named it.

The sixth argument: evidence of Nations' Consensus, which all people witnessed to, and the entire inhabitants on the earth agreed with, except who deviated from it.

The seventh argument: retional evidence, which means recognition of oneness of Allah in His Lordship and Worship. This evidence is based on the statement that its very unlikely, religiously and rationally, for an object to be existed by two sufficient reasons.

The researcher concluded the research with main results, he reached.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه دراسة موجزة لدلائل توحيد الربوبية، اقتصرت فيها على ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من بيان تفرده بالربوبية معرضا عن غيره من الأدلة التي استعملها المتكلمون وغيرهم، لما في كتاب الله من الغنية في ذلك والحجة البالغة على وجوب توحيده وصرف العبودية له وحده.

خطة البحث

قسم الباحث البحث إلى مقدمة ذكر فيها أهمية الموضوع وخطته وتمهيد وسبعة مباحث:

المقدمة: وتشمل على الخطة وأهمية البحث والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في تعريف الدلائل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: أهمية دلائل توحيد الربوبية.

المباحث: وتتضمن دراسة كل دليل من أدلة الربوبية وبيانه كالتالي:

المبحث الأول: دليل الفطرة.

المبحث الثاني: دليل الخلق.

المبحث الثالث: دليل العناية.

المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار.

المبحث الخامس: دليل معرفة الله بالله.

المبحث السادس: دليل إجماع الأمم.

المبحث السابع: دليل التمانع.

أهمية البحث:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دلائل الربوبية فيها الظاهر البين لكل أحد كالحوادث المشهودة؛ مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر وغير ذلك، وفيها ما يختص به من عرفه؛ مثل دقائق التشريح ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا، فإن الله يجود به على عباده جودا عاما ميسرا، فلما كانت حاجتهم إلى النفس أكثر من حاجتهم إلى الماء وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل كان سبحانه قد جاء بالهواء جودا عاما في كل مكان وزمان لضرورة الحيوان إليه، ثم الماء دونه ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر، لأن الحاجة إليه أشد، فكذلك دلائل الربوبية حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات ثم دلائل النبوة، فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما لا يحتاج إليه العامة؛ مثل تماثل الأجسام واختلافها وبقاء الأعراض أو فنائها وثبوت

الجوهر الفرد أو انتفاؤه، ومثل مسائل المستحاضة وفوات الحج وفساده ونحو ذلك مما يتكلم فيه بعض العلماء»[1].

ويمكن أن نلخص أهمية البحث في النقاط التالية:

۞ أنّ موضوع هذا البحث من أهم مباحث توحيد الربوبية.

۞ أنّ فيه إثباتا لتوحيد العبادة ولزومه على كل من أقر به.

۞ أنّ في دراسة هذه الدلائل ربطا للعبد بربه جل وعلا ودعوة للتفكر في آلائه ونعمه وعظمة مخلوقاته الدالة على عظمته جل شأنه.

۞ أنّ دراسة هذه الدلائل اتباع لمنهج القرآن الكريم الذي كثيرا ما يذكر تعالى دلائل ربوبيته الدالة على وجوب عبادته. وسيأتي مزيد بيان في المطلب الثالث.

منهج البحث:

۞ سلك الباحث منهجا في كتابة هذا البحث يتلخص في النقاط التالية:

۞ جمع المادة العلمية وتنزيلها على كل مبحث.

۞ العناية بالمصطلحات وتعريفها لغة واصطلاحاً.

۞ حاول الباحث حصر الدلائل الدالة على ربوبية الله جل وعلا ووجوب عبادته حسب ورودها في القرآن وعرضها عرضاً علمياً.

۞ التزم الباحث الاقتصار على المهم في هذا الباب وذكر ما يبين المقصود وفق الدلائل الشرعية الواردة في كتاب الله جل وعلا، والاكتفاء بالكليات منها معرضاً عن الطرق الكلامية التي سلكها المتكلمون في إثبات وجود الله جل وعلا استغناء بما في كتاب الله عن آراء الخلق.

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٥- ٤٣٦.

۞ عندما يعرض الدليل بأكثر من صيغة أو يكون متقارباً فإن الباحث يكتفي ببعضها ويعرض عن البعض الآخر.

۞ حرص الباحث على نقل أقوال أهل العلم فيما ذكره من مسائل بالقدر الذي يخدم البحث.

۞ توثيق النقول من مصادرها الأصلية.

۞ قام الباحث بعزو الآيات وتخريج الأحاديث من مظانها، وحرص على ذكر درجة الحديث من خلال نقل أقوال أهل العلم فيه إن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما.

۞ ترجم الباحث لغير المشهورين عند المتخصصين من طلبة العلم.

۞ تذييل البحث بخاتمة تشتمل على أهم النتائج، وفهارس للمصادر والمراجع وأخرى للموضوعات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري والتتبع لم يجد الباحث من خص هذا الموضوع بدراسة مستقلة مستفيضة.

التمهيد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في تعريف الدلائل لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: أهمية دلائل ربوبية الله.

المطلب الأول: في تعريف الدلائل في اللغة والشرع

أولا: معنى الدليل في اللغة:

قال ابن فارس: «الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء»(١).

وقال الجوهري: «الدليل ما يستدل به، والدليل: الدال. وقد دلّه على الطريق، يدلّه، دَلالة، ودِلالة، ودُلولة، والفتح أعلى»(٢).

وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن الدليل في اللغة هو: إبانة الشيء بأمارته الدالة عليه وما يستدل ويسترشد به.

ثانياً: معنى الدليل في الشرع:

ورد لفظ الدليل وورد الفعل منه في مواضع من كتاب الله جل شأنه منها:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ [سبأ: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم دللناكم أيها الناس، بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه، أنه خلق من خلق ربكم، يوجده إذا شاء، ويفنيه إذا أراد»(٣).

---

(١) معجم مقايس اللغة ٢/ ٢٥٩. مادة دلل.

(٢) الصحاح ٤/١٦٩٨ وانظر: لسان العرب ١١/٢٤٨ - ٢٤٩.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١٩.

وقال القرطبي: «فالشمس دليل، أي حجة وبرهان، وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه»[١].

وقال سبحانه: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ [القصص: ١٢]، وقال أيضاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصف]، وقال أيضاً: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [سبأ].

وقد ورد الفعل منه في السنة كثيراً، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»[٢].

فتبين بهذا أن معنى الدليل في الشرع باق على معناه في اللغة فهو المرشد والموصل إلى المطلوب.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدليل هو المرشد إلى المطلوب؛ وهو الموصل إلى المقصود... وهو ما يكون النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علم، أو إلى اعتقاد راجح»[٣].

ومن أهل الكلام من لا يسمي بالدليل إلا ما أوصل إلى العلم بوجود المدلول، أما ما يوصل النظر فيه إلى الاعتقاد الراجح فخصه بعضهم باسم الأمارة، والصحيح أن لا فرق، والنزاع نزاع اصطلاحي كما قرر ذلك

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٧.

(٢) رواه مسلم (ح ٥٤).

(٣) الرد على المنطقيين (١/ ١٦٥) وانظر: الجواب الصحيح - (٦/ ٥٠٣).

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.[١]

«والضابط في الدليل أن يكون مستلزماً للمدلول، فكل ما كان مستلزما لغيره أمكن أن يستدل به عليه إن كان التلازم من الطرفين أمكن أن يستدل بكل منهما على الآخر، فيستدل المستدل مما علمه منهما على الآخر الذي لم يعلمه.ثم إن كان اللزوم قطعيا كان الدليل قطعيا، وإن كان ظاهراً ـ وقد يتخلف ـ كان الدليل ظنيا»[٢].

---

(١) الرد على المنطقيين (١ / ١٦٥).

(٢) المصدر نفسه.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح

أولا: تعريف التوحيد في اللغة

التوحيد في اللغة مأخوذ من الْوَحْدَةِ. والانفراد[١] «الواو والحاء والدال: أصلٌ واحدٌ يدلّ على الانفراد. من ذلك: الوحدة، وهو واحدُ قبيلته: إذا لم يكن فيهم مثله. قال الشاعر:

يا واحدَ العُرْبِ الذي ... ما في الأنام له نظير

وَلَقِيتُ الْقَوْمَ مَوْحَدَ مَوْحَدَ. وَلَقِيتُهُ وَحْدَهُ.»[٢].

«وحَّدَه وأَحَّدَه كَمَا يُقَالُ ثَنَّاه وثَلَّثه. ورجل وحد ووحد، أي منفرد. وتوحد برأيه، تفرد به»[٣]. «وفلان واحد دهره، أي لا نظير له»[٤]

وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد مصدر من وحَّد يُوَحِّد توحيداً، إذا أفرده و جعله واحداً»[٥]

وبناء على هذا فالتوحيد مأخوذ من الْوَحْدَةِ. والانفراد.

ثانيا: تعريف توحيد الربوبية في الاصطلاح:

تعدّدت ألفاظ أهل العلم في تعريفهم لتوحيد الربوبية، وبالنظر إلى تلك

---

(١) انظر: كتاب العين مادة وحده ٣/ ٢٨١ والصحاح مادة (وحده) واللسان مادة وحده ٣/ ٤٤٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٦/ ٩٠-٩١.

(٣) انظر: اللسان مادة وحده ٣/ ٤٤٦.

(٤) الصحاح مادة وحد ٥٤٧ـ٥٤٨.

(٥) لسان العرب مادة (وحد) ٣ / ٤٤٨.

التعريفات نجد أنها تدور حول إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله، إلا أن البعض يتوسع في ضرب الأمثلة، وبعضهم يكتفي ببعضها، والبعض الآخر يكتفي بذكر مثال واحد فقط كما صنع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غير موضع من مؤلفاته، حيث عرّفه بقوله: «هو إفراد الله بالخلق» وكذا تلميذه ابن القيم رحمهما الله.

ومن هنا كان أجمع وأشمل تعريف لتوحيد الربوبية هو: إفراد الله بأفعاله، ويدخل في هذا جميع صفات الربوبية من الخلق والملك والتدبير والتصرف في جميع مخلوقاته، كما يدخل في هذا التعريف الإيمان بأقدار الله وقضائه.

المطلب الثالث: أهمية دلائل ربوبية الله:

تمهيد

معرفة الله سبحانه نوعان: عامة وهي معرفة إقرار بوجوده وربوبيته، وخاصة وهي معرفة شهود آلائه ونعمه وكمال محبته وإجلاله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معرفة الله نوعان:

الأول: معرفة إقرار وهي التي اشترك فيها الناس البر والفاجر والمطيع والعاصي.

والثاني: معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخالصة الجارية على ألسن القوم وتفاوتهم فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم. وكلٌ أشار إلى هذه المعرفة بحسب مقامه وما كشف له منها، وقد قال أعرف الخلق به: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[(١)] وأخبر أنه سبحانه يفتح عليه يوم القيامة من محامده بما لا يحسنه الآن[(٢)]، ولهذه المعرفة بابان واسعان:

باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله.

والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه. وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكمالها وتفرده بذلك وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيها في

---

(١) رواه مسلم (ح٤٨٦) والترمذي (٣٤٩٣) وغيرهما.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (ح ٣٧١).

أوامره ونواهيه فقيها في قضائه وقدره فقيها في أسمائه وصفاته، فقيها في الحكم الديني الشرعي، والحكم الكوني القدري وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[١].

ونخلص مما تقدم أن دلائل معرفة الله تكمن في أمرين:

أحدهما: معرفة إقرار بوجوده وكمال ربوبيته وتمام هذه بالتفكر في آلائه وآثار ربوبيته.وهذه المعرفة يشترك فيها البر والفاجر إلا أن الخلق يتفاوتون فيها تفاوتا بينا.

والثاني: معرفة تورث كمال عبوديته والخضوع والتذلل له، وتمامها بمعرفة وحيه ودينه والتبصر به.

ومن هذين القسمين تندرج دلائل عديدة لكن لا تخرج عن هذين الأمرين، إلا أن أغلب المشتغلين بالبحث عن دلائل الربوبية يدور بحثهم حول الأول، وهو الإقرار بوجوده وبعض صفات ربوبيته.

وفي هذه الوريقات سيكون محور الكلام حول هذين الأمرين مع ذكر بعض الأمثلة على هذين القسمين.

اعتراض وجوابه:

قد يقول قائل: إن معرفة الله سبحانه وتعالى لا تحتاج إلى النظر والاستدلال، بل إنها حاصلة عند الأمم جميعهم، وهذا مما يبين أنه لا حاجة في سرد الأدلة على وجود الله، فالصغير والكبير، والجن والأنس، بل وجميع المخلوقات قد عرفت ربها، فما من شيء إلا وهو يسبح بحمد ربه، وما من شيء

---

(١) الفوائد ١/ ١٧٠.

إلا وقد انقاد لربه وأذعن. فلماذا تُعقد مثل هذه المباحث ويُشغل الناس بها؟.

فالجواب أن نقول:

نعم معرفة ربنا جل وعلا لا تحتاج لشحذ الأدلة الدالة على وجوده، فالله جل ذكره هو دليل على وجوده، وليس في الرسل من قال أول ما دعا إليه قومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه، فلم يكلفوا أولا بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ الأمم جميعاً قد أقرت به واعترفت بربوبيته، وقد قالت رسل الله لأقوامهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[إبراهيم: ١٠] فنفت أن يكون في الله شك، وهو استفهام تقريري يتضمن تقرير الأمم على ما هم مقرين به من أنه ليس في الله شك فهذا استفهام تقرير، ومما يؤكد هذا أن القرآن لم يتوسع في ذلك، ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور؛ منها:

١. اتفاق الأمم على الإيمان به والإقرار بمضمونه.

٢. أنه أمر مسلّم، ولذا فإن نجد أن الله إن تكلم عن ربوبية ساقه على سبيل المسلمات ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

إلا أنه يمكن القول بأن أسباب دراسة دلائل الربوبية إنما جاءت مستنبطة من القرآن الكريم حيث سيق الكلام فيه لأغراض منها:

١) تقرير عجز المعبودات من دون الله، عن شيء من خصائص الربوبية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج].

٢) الاحتجاج به على المشركين بوجوب الإيمان به وتوحيده في العبادة ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

٣) ذكره لصفات الربوبية، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة] ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الزمر: ٦٢] ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام].

٤) الاستهزاء بالمشركين الذين عبدوا معه غيره ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف] ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل].

٥) للفت التأمل والتذكر والتفكر في مخلوقات الله. ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران] .

٦) العبرة والعظة من فعل الله بالأمم السابقة ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾(١) [الحج].

٧) أنها سبب لزيادة الإيمان، فالدليل المحسوس أقوى في التأثير من غيره، قال الله تعالى على لسان الخليل عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[البقرة: ٢٦٠]

(١) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في تقرير عقيدة التوحيد ٢٧٦ وما بعدها.

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٤٣].

٨) حاجة الناس في هذا الزمن لمعرفة هذا، لاسيما وأن موجة الإلحاد ما زالت موجودة.

٩) أن كثيراً من المسلمين لا يفرق بين توحيد الربوبية والألوهية، لاسيما الصوفية الذين بالغوا في إثبات توحيد الربوبية.

١٠)أن مجرد معرفة الله لا تستلزم كمال العلم به وبصفاته وأحكامه؛ بل قد يعرفه من لا يؤمن به بخلاف من علم به، فلا بد أن يكون شاكراً ذاكراً منيباً مخبتاً لربه جلّ جلاله.

المبحث الأول: دليل الفطرة

المبحث الثاني: دليل الخلق

المبحث الثالث: دليل العناية

المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار

المبحث الخامس: دليل معرفة الله بالله

المبحث السادس: دليل إجماع الأمم

المبحث السابع: دليل التمانع

تمهيد

مما هو معلوم بالضرورة أن وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته معلومة لكل عاقل سليم؛ بل إن إدراك ذلك قد جبل عليه كل الخلق إلا من شذ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وحدانية الربوبية معلومة بالشريعة النبوية والفطرة الخلقية والضرورة العقلية، والقواطع النقلية واتفاق الأمم وغير ذلك من الدلائل».[١]

وقال: «كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، وتمثّل بقول الشاعر:

وليس يصحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وكان ﷺ يرتجز بقول عامر بن الأكوع:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا..»[٢]

فدلّ هذا على أن الله يُعرف بالله، ثم هناك أدلة تؤكد هذه المعرفة وتزيدها والتي من أهمها:

١- الفطرة. ٢- الضرورة. ٣-العناية.

٤-الخلق والإيجاد. ٥- معرفة الله بالله. ٦ـ إجماع الأمم.

٧ـ دلالة الكتب المنزلة ومعجزات الأنبياء[٣]. ٨ ـ دليل التمانع.

وسأتناولها في المباحث التالية:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٠١.

(٢) رواه البخاري ٢٢ / ٤٥.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٠١ وانظر: نبذة في العقيدة الإسلامية لابن عثيمين ص ٧.

المبحث الأول: دليل الفطرة.

معنى الفطرة في اللغة:

قال الخليل: «وفطر الله الخلق، أي خلقهم، وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السماوات والأرض، والفطرة التي طبعت عليها الخليقة من الدين، فطرهم الله على معرفته بربوبيته..وانفطر الثوب وتفطر أي انشق، وتفطرت الجبال والأرض انصدعت»(١).

وقال الجوهري: «والفِطْرة بالكسر الخلقة»(٢).

«والفِطْرَة: الجِبلَّة التي فطر الله تعالى عليها الخَلْقَ. ورُوي في الحديث: «كل مولودٍ يولد على الفِطْرَة»(٣)

«الجِبِلَّةُ بكسرتين وتثقيل اللام و الطَّبِيعَةُ و الخَلِيقَةُ والغَرِيزَةُ بمعنى واحد وجَبَلَهُ الله على كذا من باب قتل فطره عليه»(٤).

وبهذا يتبين أن معنى الفطرة في اللغة يدور معناه على الشق والابتداء والخلق والجبلة والطبيعة. وقد ورد ذكر أغلب هذه المعاني في القرآن قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ [الشورى: ٥] والمقصود يتشققن وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥١]، والمعنى

---

(١) العين ٧/ ٤١٨.

(٢) الصحاح ٢/ ٧٨١، وانظر: العين ٧/ ٤١٧ - ٤١٨، لسان العرب ٥/ ٥٥ - ٥٨.

(٣) جمهرة اللغة ١ / ٤١٤.

(٤) المصباح المنير- العلمية ١ / ٩٠.

هنا الابتداء والخلق والإيجاد على غير مثال سابق. وقال سبحانه: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾[المزمل: ١٨] إشارة إلى قبولها ما اقتضاه خلقه وابداعه لها.[١]

ومن معان الفطرة أيضاً: السنة كما في الحديث: «خمس من الفطرة»[٢].

المراد بالفطرة في الاصطلاح الشرعي:

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف الفطرة: «هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه»[٣]

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: «قال العلماء الفطرة هي الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل، التي هي معدة، ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه ويؤمن به»[٤]

وقال أبو البقاء الكفوي: «الفطرة هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته»[٥].

أما ما جاء في السنة: «كل مولود يولد على الفطرة» فالمراد به الإسلام.[٦]

ومن هنا يتبين أن الإقرار بوجود الخالق أمر فطري فطر الخلق عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإقرار بالله والاعتراف به ثابت في الفطرة

---

(١) انظر: المفردات للأصبهاني ٥٧٥.

(٢) أخرجه البخاري (ح ٥٨٨٩) ومسلم (ح ٢٥٧). وقد تقدم تخريجه ص ٢٠.

(٣) بهجة قلوب الأبرار ص ٦٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٩).

(٥) كتاب الكليات لأبى البقاء الكفومى ١ / ١١٠٥.

(٦) انظر: درء التعارض٨/ ٣٦٧ - ٣٧١.

كما قرره سبحانه في كتابه في مواضع فلا يحتاج إلى دليل؛ بل هو أرسخ المعارف وأثبت العلوم وأصل الأصول»[١] كيف لا «ووجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه»[٢].

وقد دلّ على ما تقدم الكتاب والسنة والعقل:

أولا: دلالة الكتاب:

جاء التنبيه إلى هذه المعرفة في مواضع من كتاب الله جل وعلا والتي منها ما يلي:

١ـ قوله تعالى﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الروم].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: فسدِّد وجهك نحو الوجه الذي وجّهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، ﴿ حَنِيفًا ﴾ يقول: مستقيما لدينه وطاعته﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها ونصبت «فطرةَ» على المصدر من معنى قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٧٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢١٩.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[١].

وقد نقل الإمام ابن عبد البر[٢] إجماع أهل التفسير على أن المقصود بالفطرة: الإسلام، حيث يقول «أجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الإسلام، و هو المعروف عند السلف»[٣].

و قوله: لا تبديل لخلق الله تحتمل معنيين:

أحدهما: لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها - فيكون خبراً بمعنى الطلب.

الثاني: أنه خبر على بابه أي: ساوى الله بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة لا يولد أحد إلا على ذلك.[٤].

٢ـ قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

و للمفسرين في المراد بالأخذ و الإشهاد قولان:

الأول: ما جاءت به السنة من أن الله تعالى مسح على ظهر آدم عليه السلام،

---

(١) تفسير الطبري ٢٠ / ٩٧.

(٢) ابن عبد البر الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة في ربيع الآخر، وساد أهل الزمان في الحفظ والإتقان، ولم يكن بالأندلس مثله في الحديث، له التمهيد شرح الموطأ والاستذكار مختصره والاستيعاب في الصحابة، مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة.انظر: طبقات الحفاظ ١/ ٤٣١، ٤٣٢.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٨/ ٧٢.

(٤) تفسير ابن كثير٦/ ٥٠٠١.

فاستخرج منه ذريته، فأشهدهم على أنفسهم بربوبيته، فأقروا له بلسان المقال، وهذا قول جمهور المفسرين من أهل الأثر وجمع كبير من الصحابة التابعين وغيرهم.

الثاني: خلقهم على الفطرة، المتضمنة الإقرار بالخالق، و الشهادة له بالربوبية، فالإشهاد والإقرار على هذا القول حاصلان بلسان الحال، لا بلسان المقال[١].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ «فأما نطقهم فليس في شيء من الأحاديث المرفوعة الثابتة، ولا يدل عليه القرآن، فإن القرآن يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فذكر الأخذ من ظهور بني آدم لا من نفس آدم، وذرياتهم يتناول كل من ولدوه وإن كان كثيرا، وقوله ﴿أَشْهَدَهُمْ﴾ يقتضي أنه هو الذي جعلهم شاهدين على أنفسهم بأنه ربهم، وهذا الإشهاد مقرون بأخذهم من ظهور آبائهم، وهذا الأخذ المشهود الذي لا ريب فيه، هو أخذ المني من أصلاب الآباء ونزوله في أرحام الأمهات، فالأخذ يتضمن خلقهم والإشهاد يتضمن هدايتهم إلى هذا الإقرار، فخلقوا حين ولدوا على الفطرة مقرين بالخالق شاهدين على أنفسهم بأن الله ربهم وخالقهم و أنهم عبيده المخلوقون له، وهذا الإقرار حجة لله عليهم يوم القيامة، ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا، شاهدون به على أنفسهم، والقول بإثبات الله أمر فطري ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجُعل علما ضروريا لهم لا يمكن لأحدٍ جحده»[٢]

فالله تعالى قد فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره، وهذا هو

---

(١) المرجع السابق، وانظر: تفسير الطبري ١٣/ ١٧٢، وأضواء البيان ٢/ ٤٢، والأدلة العقلية النقلية ص ١٩٩.

(٢) درء التعارض ٨ / ٤٨٤ ـ ٤٨٨ بتصرف.

الميثاق الذي أخذه الله على عباده كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴿١٧٢﴾﴾.

وقول الخليقة: شهدنا على أنفسنا أي: أقررنا بربوبية الله جل جلاله وأنه خالقهم، فهم قد خلقوا على ذلك شاهدين على أنفسهم بهذا الإقرار معترفين به، ولذلك كان هو حجة الله على خلقه يوم القيامة، ولهذا قال سبحانه مذكراً لهم بذلك: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف] أي كراهة أن تحتجوا بغفلتكم يوم القيامة؛ لأن هذا الأمر الضروري الذي لا يغفل عنه بشر.

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟. قال فيقول: نعم، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك وأنت في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي»(١).

وقال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم قرأ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ٣٠](٢).

فمعنى الفطرة هنا الإقرار بمعرفة الله تعالى الموجبة لتوحيده والاستقامة على دينه.

ولذلك جاء قوله ﷺ: «إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في

---

(١) رواه البخاري (ح٣٣٣٤) ومسلم (٢٨٠٥).

(٢) البخاري رقم (١٣٥٩)، ومسلم رقم (٢٦٥٨).

يومي هذا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم من دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنْزل به سلطاناً»[١][٢].

وهذا كله مما يؤيد القول بأن المراد بالميثاق الفطرة، لكن يبقى أن يقال إن ما ورد من آثار تؤيد القول الأول لا يمكن إغفالها أو إنكارها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الآثار في إخراج الذرية من ظهر آدم وحصولهم في القبضتين كثيرة لا سبيل إلى ردها وإنكارها، ويكفي وصولها إلى التابعين فكيف بالصحابة، ومثلها لا يقال بالرأي والتخمين»[٣] وقد قال جمع بالتواتر المعنوي لهذه الآثار[٤].

٣ ـ ما جاء في جواب الرسل للكفار لما قالوا: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[إبراهيم: ١٠].

و قد ذكر الحافظ ابن كثير أن قول الرسل﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾يحتمل أمرين:

الأول: أفي وجوده شك؟.

الثاني: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؟[٥].

فيكون الرسل قد احتجوا على الكفار بحجتين:

الأولى: الفطرة، فإن قولهم ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾استفهام تقرير مفاده النفي،

---

(١) رواه مسلم (ح ٢٨٦٥).

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٠٠.

(٣) أحكام أهل الذمة ٢ / ١٠٠٦

(٤) انظر: فتح البيان للقنوجي ٥/ ٧١، معاني القرآن للنحاس ٣/ ١٠١، والسلسلة الصحيحة للألباني ٤/ ١٦٢. وانظر: الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها ص٥٢٤وما بعدها.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٢٦.

أي أن الله تعالى فوق الشك، و أن الشك فيه مما تنكره الفطر، و هذه الحجة داخلية نابعة من نفس الإنسان، فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، و الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة.

والثانية: العقل، وذلك في قولهم ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، فإن هذا استدلال بالخلق على الخالق، و هذه الحجة خارجية، مأخوذة من دلالة الأثر على المؤثر، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما، فلا بد لهما من صانع وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه[1].

٤ ـ ومن ذلك أيضاً: أن هذه القضية لم تذكر في الكتاب كثيراً، وإنما اكتفى سبحانه بجعلها من باب المسلمات واحتج بها على وجوب إفراده بالعبادة، كما أنه لم يناقش الدهرية، وإنما اكتفى بتجهيلهم؛ لأن خطأهم معلوم لجميع الناس.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الجاثية: ٢٤].

٥ ـ أن الرسل ابتدؤوا دعوتهم لأقوامهم بتوحيد الألوهية والعبادة ولم يدعوهم إلى توحيد الربوبية مما يبين أن إقرارهم به مستقر في نفوسهم، ولو لم يكن كذلك لقالوا لرسلهم: نحن لا نعرفه أصلا فكيف يأمرنا[2].

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه. فلم يكلفوا أولا بنفس المعرفة ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ

(١) تفسير ابن كثير، ص٢٠٠. وانظر: الأدلة العقلية النقلية ص٢٠٠.

(٢) انظر: درء التعارض لابن تيمية ٣/ ١٢٩ـ١٣٠.

كانت قلوبهم تعرفه وتقر به وكل مولود يولد على الفطرة»[١].

ثانياً: دلالة السنة:

دلت السنة النبوية على ما دل عليه القرآن فمن ذلك:

١- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٢].

فإن قيل: ألا يلزم من استقرار معرفة الله تعالى في الفطرة عدم وقوع إنكار الخلق؟ والحاصل أنه واقع بالفعل، فكيف اجتمع إنكاره مع كونه معروفا بالفطرة؟.

والجواب بأن نقول: إن هذا الاستشكال ومثله نابع من أن فطرة الإنسان لا تتغير ولا تتبدل والواقع أن إنكار وجود الله إنما نبع من المؤثرات التي تحيط بالإنسان وتؤثر عليه كما دل على ذلك الحديث: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

كما أنه قد يقال: إن التوجه إلى الله أمر فطري فلماذا عبد الناس في مختلف العصور والأزمان غيره؟.

فالجواب بأن نقول: الفطرة تدعو إلى معرفة الخالق والإقرار به، لكن الإنسان تحيط به مؤثرات تجعله ينحرف، كما سبق في قوله ﷺ: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»

وكذلك شياطين الجن والإنس تتخطفه من كل مكان، كما قال تعالى عن

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦ / ٣٣٨.

(٢) تقدم تخريجه انظر: ص ٢٠.

إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص].

وليس المراد من الفطرة أن الإنسان حين ولادته يكون عابدا لله عارفاً بحقوقه موحداً له بحيث يدرك ذلك كله ويعرفه، فإن الله يقول﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾[النحل: ٧٨] ونحن نعلم بالاضطرار أن الإنسان ليس عنده معرفة بهذا الأمر على التفصيل، ولكن ولادته على الفطرة تقتضي ذلك وتستوجبه بحسبها، ولذا احتاج إلى الرسل والتلقي عنهم وعبادة الله وفق نهجهم(١).

والكتاب والسنة دلا على أن الخلق مفطور على دين الله الذي هو معرفة الله والإقرار به، فهذا هو موجب فطرتهم، ولا ينكر ذلك إلا مكابر جاحد كفرعون ومن نهج نهجه.

ثالثاً: دلالة العقل:

دل العقل على أن الإنسان يعرف ربه بفطرته ومن ذلك:

١) ترجيح النافع على الضار:

إن الانسان يجد في نفسه أنه مدفوع في فطرته إلى ترجيح النافع على الضار، والصحيح على السقيم، لاسيما أنه يحصل له كثير من المعتقدات والإرادات والدوافع التي منها الحق والباطل.

وكذلك نجد أن الطفل مدفوع بفطرته إلى لبن أمه، وفي هذا دليل على أن النفس مركوزة على قبول الحق النافع، وعلى هذا فإن الإقرار بوجود الخالق

---

(١) درء التعارض ٨ / ٤٦٠. وانظر: الأدلة العقلية النقلية ٢٠٤.

وربوبيته والإيمان به إما أن يكون هو الحق أو نقيضه، والتقدير الثاني فاسد قطعاً، فتعين الأول.

ومن هنا كانت كل نفس مفطورة على الاعتراف بالخالق والإقرار به استجابة لما هي مركوزة عليه من طلب كل ما هو حق ونافع والاعتراف به.[١]

٢) زيادة العلم توجب الإقرار به.

إننا نجد أن الانسان كلما ازداد علماً وإرادة وأخلاقاً وتفكراً كلما ازداد معرفة بخالقه ومحبة له، وهذا دليل على أن النفوس مفطورة على الاعتراف به.

وعلى هذا فإما أن يكون الإقرار بالخالق والإيمان والاعتراف به وبربوبيته أكمل للناس علماً وقصداً، أو ضدها أكمل للناس، والثاني باطل قطعاً، فلا بد أن تكون الفطرة مقتضية للإيمان بربوبيته وسائر خصائصه سبحانه.[٢]

٣) شعور النفس وإرادتها:

أن النفس إذا كانت لا تخلو من الشعور والإرادة فإن من الممتنع أن تكون غير شاعرة بوجوده وعدمه، أو محبته وعدمها، إذ لازم ذلك كون ذلك ليس من لوازم وجودها، وهذا باطل فلا بد وأن تكون شاعرة به عالمة بربوبيته ضرورة، إذ أن ذلك من لوازم وجودها، إذ لا يعقل أثر بغير مؤثر، وموجود بغير موجد.[٣]

٤) أن من الممتنع أن يكون الناس فطروا على غير ربوبيته لعدة أمور منها:

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧. وانظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٢٤

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٦٤.

أ ـ أن هذا خلاف الواقع.

ب ـ أن المخلوق ليس بأولى من المخلوق الآخر بأن يكون رباً وإلهاً، إذ أن هذا المعبود إما أن يكون حياً أو ميتاً. فإن كان ميتاً، فمن الممتنع أن يكون العباد مفطورين على عبادة الميت والإيمان بربوبيته.

وإن كان حياً فهو ليس بأولى من غيره الحي، وإلا للزم أن يكون كل حي ربا لكل حي، أو أن كل حي ربٌّ لآخر. إذ أن هذا يلزم منه التسلسل والدور في المؤثرين وهذا ممتنع (١).

ولذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب ليكمل بها الفطرة ويذكرها ويوجهها إلى ما هو مركوز فيها من معرفة الله والإقرار به.

٥) معرفته سبحانه من الأمور الضرورية:

دل العقل على أن معرفة الله من العلوم الضرورية التي لا تحتاج كبير عناء في اكتسابها، بخلاف غيرها من العلوم؛ كالحساب مثلا مع حاجة الإنسان له، لكن الإنسان قد يغفل عنها في كثير من الأحيان لشبهة نظر أو لبس في فهم الدليل، بخلاف الفطرة فإنه علم ضروري لازم لكل أحد. ولذا جاء أسلوب القرآن في الاستدلال على وجود الله على سبيل التذكير: قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾[ق: ٣٧] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾[الغاشية: ٢١].

وكل ما في القرآن من دعوة إلى الله إنما هي تذكير للإنسان بما دلت عليه فطرته من وجوب عبادة الله سبحانه وتعالى، ومحاولة للعودة به إلى حالته

---

(١) انظر: المصدر السابق ٨/ ٤٥٦ـ٤٦٨، ٤٨٣.

الصحيحة من استقامته على الفطرة التي قد يطرأ عليها من الشبهات والشكوك والغفلة ما يبعدها عما أوجدت له، فإن الشياطين من الإنس والجن قد تجتال العباد وتنحيهم عما دلت عليه فطرتهم.

ولذلك ترى أن المشركين يحتجون بغفلتهم عن إقرارهم بعبودية الله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]، أو يحتجون بشرك آبائهم ومتابعتهم على ضلالهم؛ لأن العادة جرت على أن يسلك الرجل مسلك أبيه، فيربيه بما معه من حق أو باطل، ولذلك لا يقبل الله منهم هذا الاحتجاج لكونه فطرهم على معرفته والإقرار به[1].

(١) انظر: المصدر السابق ٤٨٩ وما بعدها.

المبحث الثاني: دليل الخلق

يراد بدليل الخلق: الاستدلال بوجود المخلوق على وجود الخالق ووجوب عبادته.

ودليل الخلق ينبني على مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى: أن هذه الموجودات مخلوقة موجودة بعد أن لم تكن موجودة.

المقدمة الثانية: وهي كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد.

إن وجود الموجودات بعد العدم، وحدوثها بعد أن لم تكن، يدل بداهة على وجود من أوجدها وأحدثها، ولا بد أن يكون هذا الموجد متصفاً بصفات الربوبية والألوهية.[١]

وهذه الدلالة أظهر دلائل الربوبية، وما من شك أن العلم بهذا حاصل بالضرورة، من طريقي الحس والخبر الصادق.[٢] ولذا نجد أن الله جل وعلا أكثر من ذكر هذا الدليل في كتابه العظيم ليبرهن لهم على استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، كما أنه هو وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير، ولهذا نجد أن الله جل ذكره بين هذا النوع من الأدلة بأساليب متنوعة وبذكر مظاهر من الخلق متعددة، فتارة يستدل جل وعلا عليه بتفرده بإيجاد الموجودات من عدم مبينا بالغ قدرته على إعادتها، وتارة يستدل بتفرده بتدبير هذا الكون

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١١٨ وما بعدها.

(٢) انظر: الأدلة العقلية النقلية / ٢١٧.

وجميع المخلوقات فلا راد لأمره ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وتارة يستدل بتفرده سبحانه وتعالى بالقوة والسلطان وإسداء نعمه على خلقه وبسطه للأرض وتهيئته لها وتسخيره لما فيه للإنسان، وتارة يستدل بأفعاله جل شأنه من خلق المخلوقات من السموات والأرض والناس والدواب وغيرها، وكثيرا ما يأمر بالنظر في مآلات المعاندين والمكذبين وكيف فعل بهم، وتارة يستدل بخلق الإنسان وما مر به من أطوار وما ينتظره من مآل، كل ذلك وغيره كثير يستدل به سبحانه وتعالى على عظيم خلقه وقدرته.

لكن تتبع ذلك في كتاب الله ليس هذا محلا لذكره إذ المقصود الإشارة؛ وسأقتصر على ذكر دليلين علهما يجمعان جميع الأدلة الواردة في كتاب الله جل جلاله وهما: **دلالة العقل ودلالة الحس.**

فأما الأول: وهو دلالة العقل:

أجمل الله سبحانه وتعالى دلالة العقل على ذلك بأوجز عبارة وأبلغها قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور: ٣٦]، وهذا دليل يرغم العقلاء على التسليم بأن هناك خالقاً معبوداً.

روى البخاري في صحيحة عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الطور] قال: كاد قلبي أن يطير)[1].

---

(١) رواه البخاري (ح ٤٨٥٤).

قال الخطابي: «إنما كان انزعاجه عند سماع هذه الآية لحسن تلقيه معنى الآية ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجة فأدركها بلطيف طبعه، واستشف معناها بزكي فهمه»[١].

وهذا استدلال بأمر مفحم لا يمكن إلا التسليم للحق أو الخروج عن موجب العقل.

وذلك لا يخلو من ثلاثة أمور:

١) ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ فوُجِدوا بلا موجد وهذا عين المحال، لأنه لابد في الموجود من موجد، فإذا أنكروا الإله الخالق لم يجز أن يُوجَدوا بلا خالق خلقهم.

٢) ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ أم هم الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد أكثر وفي الباطل أشد، لأن ما لاوجود له كيف يوجد نفسه؟ وكيف يكون موصوفاً بالقدرة؟.

٣) فإذا بطل الوجهان وبان استحالتهما تعين القسم الثالث وهو: أن الله هو الذي خلق الخلق فقامت الحجة بوجوب عبادته وحده دون من سواه.

ثم أردف سبحانه بدلائل تؤكد هذا الدليل وتبينه فقال: ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ وذلك شيء لا يمكنهم أن يدّعوه بوجه من الوجوه، فهم منقطعون والحجة قائمة عليهم.

ففي هذا السؤال قطع الحجاج والخصام، إذ قد يوجد جاحد مكابر يقول: أنا خلقت نفسي كما زعم النمروذ فيما أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿ أَلَمْ

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، شرح الحديث رقم (٨٠٢) وذكره القرطبي في تفسيره ١٧/ ١٥١.

تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ فماذا كان الجواب.؟ سؤال آخر أبان عجزه وأكذبه في زعمه الأول ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨] فكانت النتيجة أن بهت الذي كفر(١).

فمن زعم أنه خلق نفسه، احتج عليه بعدم استطاعته خلق السموات والأرض.

وهذا الأمر يدركه من هو على الفطرة السليمة، فهذا أحد الأعراب يقول: «البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على العليم الخبير»(٢).

وقال آخر: «سل الأرض: من فجّر أنهارها، وغرس أشجارها، وأخرج ثمارها، وأغطش ليلها، وأوضح نهارها، فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً»(٣).

وقال الشاعر:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد(٤)

---

(١) انظر: العقيدة في الله ٧١.

(٢) جواهر الأدب من خطبة قس بن ساعدة ٢/ ١٩، والبيان والتبيين ١/ ١٦٣، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ١/ ٥٢.

(٣) والبيان والتبيين ١/ ٥٨. زهر الآداب وثمر الألباب ١ / ٣٠٨، الحيوان ١ / ٣٥ في خطبة للفضل بن عيسى الرقاشي.

(٤) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ص ٦٩-٧٠. وانظر: المستطرف في كل فن مستظرف ١/ ١٦.

ولذلك ألزم الله المشركين بهذا التوحيد على أن يقروا ويعترفوا بتوحيد الإلهية.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) ﴾ [العنكبوت]

ومما يذكر عن أبي حنيفة قوله لمن أنكر وجود الله: (ما تقولون في رجل يقول لكم: رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأثقال، قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز في العقل؟ قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: يا سبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ؟ فبكوا جميعاً، وقالوا: صدقت وتابوا)[(١)].

وقال بعض الحكماء: لو لم يكن للعالم صانع لكان أضيع ضائع، هل رأيت مصنوعاً بلا صانع، وسقفاً مرفوعاً بلا رافع، وهل ينفي الصانع إلا جاحد أو مكابر؟!.

الثاني: دليل الحس:

هذا الدليل يمكن حصره في قسمين كما أخبر سبحانه:

أحدهما: النظر في الآفاق.

والثاني: النظر في الأنفس.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٧، وتفسير الرازي ١/ ٢٥٥. وانظر: العقيدة في الله ٧٠ للاشقر.

قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت].

وسأقتصر على مثال لكل منهما.

أولا: النظر في الآفاق:

أمر الله بالتفكر في الكون والنظر في الآفاق في آيات عديدة متنوعة في العرض وفي الأسلوب، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: محتجاً على المشركين: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[النمل].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران].

فقد أمر الله العباد في هذه الآيات بالنظر في هذه المخلوقات والاتعاظ والاعتبار، بل أمرهم سبحانه بالسير ليعقلوا بقلوبهم وليتعظوا بحال تلك

القرى الخاوية.

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت]

قال ابن سعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ: «(قُلْ) لهم، إن حصل معهم ريب وشك في الابتداء: (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ) بأبدانكم وقلوبكم (فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) فإنكم ستجدون أمما من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد شيئا فشيئا، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتا بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددها، بل الخلق دائما في بدء وإعادة، فانظر إليهم وقت موتتهم الصغرى -النوم- وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[1].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت] و«الآفاق» جمع أفق وهو الناحية، والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعه، وعجائبه، في نواحي سماواته وأرضه، ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده. كما أشرنا إليه، من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال، والدواب والبحار، إلى غير ذلك.

(١) تفسير السعدي ١ / ٦٢٨.

وبين أيضا أن من آياته التي يريهم ولا يمكنهم أن ينكروا شيئا منها: تسخيره لهم الأنعام ليركبوها ويأكلوا من لحومها، وينتفعوا بألبانها، وزبدها وسمنها، وأقطها ويلبسوا من جلودها، وأصوافها وأوبارها وأشعارها، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾[غافر: ٧٩ - ٨٠]»[(١)].

الثاني: التفكر في الأنفس:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامـة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها»[(٢)] وأكثر سبحانه من ذكرها في كتابه وأمر بالتفكر في خلق الإنسان والنظر في أطوار خلقه وعظيم إبداعه وتسخير ما في الكون له، فقد جعل الأرض بساطاً والجبال أوتادا وألان له الحديد وقرب له البعيد وسخر له ما فيها من نبات ومعادن ومخلوقات، بل جعله سبحانه هو سيد هذا الأرض، ذكر ذلك سبحانه في كتابه بأساليب مختلفة وطرق متعددة، ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس] بل لقد لفت سبحانه نظر رسوله الكريم إليه في أول آية أنزلها عليه فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾[العلق] وأنكر سبحانه على من ترك التبصر والتفكر في خلق النفس الإنسانية، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات].

(١) أضواء البيان - ٦ / ٣٧٦.

(٢) النبوات ١٠ / ٨١. وانظر: الفتاوى ٤/ ٢٨٢.

قال في أضواء البيان: «أي من أعضاء وأجزاء وتراكيب وعدة أجهزة تبهر العقول في السمع وفي البصر وفي الشم وفي الذوق وفي الحس ومن داخل الجسم ما هو أعظم فحق أن يقسم بها. (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا) أي: بالقدرة الباهرة والعلم الشامل، وذكرها بالمعنى الثاني فإنه في نظري أعظم من المعنى الأول، وذلك أن القوى المدركة والمفكرة والمقدرة للأمور التي لها الاختيار ومنها القبول والرفض والرضى والسخط والأخذ والمنع فإنها عالم مستقل.

وإنها كما قلنا أعظم مما تقدم لأن الجانب الخلقي قال تعالى فيه ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾[غافر: ٥٧]، ولكن في هذا الجانب قال ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب] ومعلوم أن بعض أفراد الإنسان حملها بصدق وأداها بوفاء ونال رضى الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فهذه النفس في تسويتها لتلقى معاني الخير والشر واستقبال الإلهام الإلهي للفجور والتقوى أعظم دلالة على القدرة من تلك الجمادات التي لا تبدي ولا تعيد والتي لا تملك سلبا ولا إيجابا»[1]

بل قد صرح بعض العلماء بوجوب النظر في خلق الإنسان أخذاً من قوله ﷻ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ [الطارق][2].

كما أنه قد جاء ذكر هذا الدليل إجمالاً كما في قوله ﷻ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ

(١) أضواء البيان ٨ / ٥٣٩- ٣٤٠.

(٢) أضواء البيان ٢/ ٣٣٨.

ﱡ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ ﱠ [الزمر].

وقال أيضا: ﱡ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ ﱠ [نوح].

وجاء مفصلاً كما قال ﻷ: ﱡ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﱠ [المؤمنون][1].

قال قتادة: «من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة»[2].

فهذه الأدلة العقلية الشرعية من الآيات المتلوة والمرئية، تدل على تفرده سبحانه بالخلق وإدارة الكون، كما تدل على أن هذا الكون وما فيه مخلوق، والمخلوق لابد له من خالق، ولهذا كانت الرسل تحتج بذلك على أقوامها، قال تعالى: ﱡ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﱠ[إبراهيم: ١٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «نفس حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب ونحو ذلك معلوم بالضرورة، بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يعلم بالدليل ما لم يعلم بالحس و بالضرورة، والعلم بحدوث هذه المحدثات علم ضروري، لا يحتاج إلى دليل»[3].

---

(١) انظر: أضواء البيان ٧/ ١٨٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٨٣. وانظر: الدر المنثور ٧/ ٦١٩.

(٣) درء التعارض ٧/ ٢١٩.

وليس شرطاً أن يقف كل أحد على حدوث كل شيء حتى يصدق بذلك؛ بل إن ذلك غير ممكن كما قال ﷻ: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١ ﴾ [الكهف].

المبحث الثالث: دليل العناية:

يقصد بالعناية ظهور آثار الكمال في الخلق والتي تتجلى في إتقانه وإحكامه ودقة صنعه وترابطه.

دليل العناية مبني على أصلين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان مهيأة له.

الثاني: أن هذه الموافقة وهذه الدقة وهذا الإحكام بالضرورة قد أوجد من قبل حكيم خبير مريد لعبادة الخلق له وتوحيدهم إياه(١).

فأما الأصل الأول:

وهو كون الموجودات موافقة لوجود الإنسان، فيتحصل اليقين به باعتبار موافقة المخلوقات لوجود الإنسان من الليل والنهار، والشمس والقمر، الأزمنة بفصولها والأمكنة باختلافها، وكثير من الحيوان والنبات والجماد وجزئيات كثيرة مثل الأمطار والأنهار والبحار، وبالجملة كل ما في هذه الأرض وغيرها من مخلوقات فهي موافقة لخلق الإنسان، وكذلك أيضاً تظهر العناية في البدن، كما أن معرفة منافع الموجودات داخلة في هذا الجنس، وكلما كان الوقوف على منافع الموجودات وحكمها والغاية التي وجدت لأجله أطول و أكثر تأملا، كان الوقوف على هذه الدلالة أتم.

ويمكن القول بأن هذا كله وغيره يمكن جمعه في ثلاث محاور كما ورد في القرآن الكريم:

---

(١) انظر: دلائل التوحيد القاسمي ٣٣ – ٣٦ وبيان تلبيس الجهمية ١/ ١٧٥،

المحور الأول: الدقة والإتقان:

جاء ذكر ذلك في كتاب الله في عدة مواضع للفت انتباه المكلفين إلى عظيم قدرته سبحانه وتعالى ودقة خلقه وإيجاده، كما أنه جاء التعبير عنه بعدة ألفاظ منها: الإتقان قال سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النمل] .

وجاء بلفظ سوّى: قال سبحانه ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ القيامة وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [الأعلى] وتسوية الشيء: إتقانه وإحسان خلقه وإكمال صنعته، بحيث يكون مُهيئاً لأداء وظيفته، ويكون مستوياً معتدلاً متناسب الأجزاء ليس بينها تفاوت يُخل بالمقصود.

وجاء بعبارات أخرى مختلفة الألفاظ وإن كانت مُتقاربة الدلالة كالإحسان ونفي التفاوت وإعطاء الخلق ونحوه، قال سبحانه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون] واستدل بذلك نبي الله إلياس محتجا به على قومه مستدلا بوجوب عبادته فقال سبحانه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصافات] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة].

وإذا كان الخلق يدل على وجود الله جل وعلا فإن دلالة الإتقان والعناية على وجوده أظهر وأبين، لأن العناية أخص من الخلق، إذ قد يُخلق الشيء بغير عناية وإتقان، وهذه العناية ظاهرة في الكائنات كلها. ولكنها في الكائنات الحية أظهر -وفي الإنسان على وجه الخصوص- أظهر وأبين قال سبحانه:

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾[الذاريات].

قال سبحانه: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ﴾[الملك].

أي لا مجال لنظر ناقد أو نقد مقوم، بل فيه من مظاهر الإتقان ما حير أولي الألباب، ووقفت عنده عيون الناظرين حائرة ذليلة لربها من عظم الدهشة بدقة الخلق وإتقانه وإحكامه.

ولقد بين الله سبحانه عنايته بهذا الكون وما حوى من مخلوقات: قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١ ﴾[يس] وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣ ﴾[الأنبياء] وقوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ٦١ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢ ﴾[الفرقان] وقوله: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ﴾ الآيات [عبس] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ورعاية الله لمخلوقاته وعنايته بهم وحفظه للإنسان في بطن أمه ثم بعد خروجه، ورعايته لسائر المخلوقات كما في آية الحج، وكما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله عليه وسلم وَهُوَ الصادق المَصْدُوقُ

قال: «إِنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ في الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»(١).

فهذه الآيات وغيرها تدل على عناية الله وخلقه لهذا الكون؛ لما فيه من التنظيم الدقيق والتناسق في أجزاء الكون في أقصى غايات الدقة والتنظيم العجيب الذي حيّر أولي الألباب.

المحور الثاني: التقدير:

التقدير: هو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب دقيق بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه.

فإذا كان الإتقان والعناية إعطاء كل شيء من الخلق والتصوير ما يُؤدي به وظيفته على الوجه المناسب له، فإن التقدير أن يكون بالقدر الذي ينفع به نفسه ولا يضر غيره ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى، وذلك يتم إذا ما وضع في مكانه الملائم وزمانه المناسب، وبالكَمِّ الذي يصلح ولا يفسد، وعلى الكيفية التي يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه وينتظم بها سير الوجود.

وهذا التقدير ظاهرة عامة في جميع مخلوقات الله كما قرر سبحانه هذه الحقيقة في كتابه، قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[الطلاق] وقال جل شأنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر].

(١) رواه البخاري (ح٣٢٠٨) ومسلم (ح٢٦٤٣).

وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: (فقدّره تقديرا) يقول: فسوّى كل ما خلق، وهيّأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت»[(١)].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا) أي: أعطى كل مخلوق منها ما يليق به ويناسبه من الخلق وما تقتضيه حكمته من ذلك، بحيث صار كل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته المشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد لا يناسبه غير محله الذي هو فيه»[(٢)]

المحور الثالث: الهداية:

الهداية من أظهر الأدلة الكونية على وجود الله جل وعلا، ويقصد بها في هذا المقام أن كل خلق من مخلوقات الله قد ألهم غاية وجوده، وهدى إلى ما خلق من أجله، وألهم الإلهام الفطري أو الغريزي الذي تتوجه به المخلوقات قاطبة إلى أداء دورها وتحقيق وظيفتها في هذه الحياة. قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى] وقال: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل].

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد بالوحي ههنا: الإلهام والهداية، والإرشاد

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٢٣٦.

(٢) تفسير السعدي ١ / ٥٧٧.

للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها، ومن الشجر، ومما يعرشون، ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصِّها، بحيث لا يكون في بيتها خلل، ثم أذن لها تعالى إذنا قدريا تسخيرياً أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذللة لها، أي مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم، والبراري الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل، فتبني الشمع من أجنحتها وتقيء العسل من فيها، وتبيض الفراخ من دبرها، ثم تصبح إلى مراعيها»(١).

وهذه الهداية عامة لا تتعلق بالمكلفين فحسب، وليست مقصورة على الكائنات التي تتحرك بالإرادة فحسب، ولكنها هداية مبثوثة في كل شيء في هذا الوجود لتحمل في طياتها أبلغ الأدلة على وجود الرب جل وعلا وبديع صنعه وتدبيره.

وقال سبحانه: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(ثُمَّ هَدَىٰ) كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن به على ذلك.

وهذا كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧] فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن، الذي لا تقترح العقول فوق حسنه،

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٧٠٠.

وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودا، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور المعلومة ما أنكر، كان إنكاره لرب العالمين أكبر من ذلك، ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا الدليل القاطع، عدل إلى المشاغبة، وحاد عن المقصود»(١)

و أما الأصل الثاني:

وهو: أن هذه الموافقة وهذه الدقة وهذا الإحكام بالضرورة قد أوجد من قبل حكيم خبير، وهذه قضية بدهية فطرية، لا يجحدها إلا مكابر، و بذلك تكون دلالته في غاية القوة و الحجية، حيث قامت على معلومات أولية بدهية، و مشاهدات حسية في متناول الجميع(٢).

ومن تأمل هذا الكون وما فيه من مخلوقات محكمة، يجد أنه قد وضعت في موضعها بدقة وإحكام وعناية فائقة، موافقةً للمنفعة الموجودة، والغاية المطلوبة، حتى يرى أنه لو وجد بغير تلك الصفة، أو بغير ذلك الوضع، أو بغير ذلك القدر، لم توجد فيه تلك المنفعة، لأدرك على القطع أن لذلك خالقاً حكيماً أوجده، وأنه لا يمكن أن تكون قد وجدت اتفاقاً من غير موجد.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

إذا ما طفت ببصرك وبصيرتك في هذا الكون العظيم وما حوى من مخلوقات؛ الشمس والقمر وسائر الكواكب، والليل والنهار، والأمطار والرياح والمياه، والأنهار والبحار، بل وجود الناس على اختلاف أصنافهم

---

(١) تفسير ابن سعدي ١/ ٥٠٦.

(٢) دلائل التوحيد لمحمد جمال الدين القاسمي / ٢٠٧.

وألوانهم وتنوع أعمالهم، ثم نظرت إلى الأرض فرأيتها قد هيئت لسكنى الناس وسائر الحيوانات البرية، والماء وكونه موافقاً لسكنى الحيوانات المائية، والهواء وحاجة الجميع له، والماء وعدم استغناء مخلوق عنه، وأنه لو اختل شيء من هذا الخلقة والبنية لاختل وجود هذه المخلوقات، من أدرك ذلك بعين البصر والبصيرة علم على القطع أنه لا يمكن أن تكون هذه الدقة والإحكام والإتقان قد وجدت من غير موجد. لماذا؟.

١) لأننا إذا رأينا مسكناً قد هُيِّئ على ملائمة جميع ما يحتاجه الإنسان علمنا أن مُعِداً قد أعده لذلك.

٢) ولو رأينا مركباً سائراً نحو نقطة مقصودة لعلمنا أن قائداً يقوده.

وهكذا هذا الكون من تأمله وجد أنه مخلوق من خالق حكيم عليم خبير حي قيوم بديع السموات والأرض.

وهذا الدليل من الطرق الشرعية التي أقامها الله لعبادة ليعرفوا منها أن لهم رباً عليماً حكيماً قد أوجدهم بعناية ودقة وإحكام وهيَّأ لهم هذا الكون ليعبدوه وليوحدوه.(١)

ويمكن أن نلخص دليل الخلق بما يلي:

- كل مخلوق لابد له من خالق.
- العدم لا يمكن أن يخلق شيئاً.
- فاقد الشيء لا يعطيه.
- التدبر في صفات المخلوق يدلنا على بعض صفات الخالق.

---

(١) انظر: في ذلك تلبيس الجهمية ٢/ ١٧٢-١٨٢.

المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار

معنى الضرورة والاضطرار في اللغة:

قال الخليل: «الضرورة اسم لمصدر الاضطرار، تقول حملتني الضرورة على كذا، وقد اضطر فلان إلى كذا وكذا»[(١)]. والاضطرار الاحتياج إلى الشيء، وقد اضطره إليه أمر، والاسم الضرة، والضرورة كالضرة[(٢)]. والضرورة اسم من الاضطرار[(٣)].

معنى الضرورة والاضطرار في الاصطلاح:

قال الباقلاني في تعريفه: «فالضروري ما لزم أنفس الخلق، لزوماً لا يمكنهم دفعه، والشك في معلومة»[(٤)].

وحَدّه بعض المعتزلة بأنه: «العلم الذي يحصل فينا، لا من قبلنا، ولا يمكننا نفيه عن النفس بوجه من الوجوه».

ويقول شيخ الإسلام: «حد العلم الضروري، وهو الذي يلزم نفس العبد لزوماً لا يمكنه معه دفعه عن نفسه»[(٥)].

الفرق بين الضرورة والاضطرار:

قال في الكشاف: «الضرورة: الحالة المحوجة إلى اللجإ، والاضطرار:

---

(١) العين ٧/ ٧، وانظر: لسان العرب ٤/ ٤٨٤.

(٢) انظر: لسان العرب ٤/ ٤٨٣، الصحاح ٢/ ٢٠، معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٦٠.

(٣) انظر: المصباح المنير ٢/ ٣٦٠.

(٤) الإنصاف ص١٤.

(٥) درء التعارض ٦/ ١٠٦، وانظر: الدرء ٧/ ٤٣٠ وبيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٦٦.

افتعال منها. يقال: اضطرّه إلى كذا، والفاعل والمفعول: مضطر.

والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجإ والتضرع إلى الله. وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: هو المجهود. وعن السدّي: الذي لا حول له ولا قوة. وقيل: المذنب إذا استغفر.

فإن قلت: قد عمّ المضطرين بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]»[١].

فالمضطر هو ذو الضرورة أي الحالة المحوجة إلى الأشياء العسرة الحصول.

والاضطرار: افتعال من الضرورة لا من الضر. وتقديره: أنه نالته الضرورة فطاوعها. وليس له فعل مجرد وإنما يقال: اضطره كذا إلى كذا.

وبناء على ما تقدّم فإن الضرورة: هي حاجة ملحة لابد للإنسان منها.

أما الاضطرار: فهو حاجة وقتية تنشأ من محنة أو ضائقة.

دليل الضرورة على معرفة الله

دليل الضرورة يشمل أمرين مهمين:

أحدهما: ما قد جبل عليه الإنسان من معرفة الله وحاجته إليه من طلب اللجوء إليه والاستعانة به والتوكل عليه، والتوجه بالدعاء إليه، وهذه أمور ضرورية يجدها العبد في نفسه وقلبه ولا يجد السبيل إلى دفعها، بل كل الخلق يعلمون وجوده وقدرته وتصرفه بهذا الكون وتدبيره له، إلا من شذ ولا عبرة بالشاذ، بل إن العبد يجد في قرارة نفسه الرغبة الملحة إلى التعرف على ربه وملء قلبه بالأنس به والشوق إليه والتلذذ بذكره وعبادته والتعرف على صفاته، فإذا

---

(١) الكشاف ٣ / ٣٨١. وانظر: التحرير والتنوير ١٠ / ٣٨٢.

لم يحصل له ذلك بقي قلبه فارغاً معذباً بفراق غذائه الروحي الذي هو أحوج إليه من الطعام والشراب[١].

الأمر الثاني: أن هذا هو العلم الضروري الذي يلزم المخلوق لزوماً لا يمكنه الانفكاك عنه، وهذا هو حال أهل الإيمان والمعرفة بالله عز وجل، من أئمة المسلمين وسلف الأمة وحملة الحجة، فإنهم يخبرون بما عندهم من اليقين والطمأنينة والعلم الضروري بالله جل وعز، كما في الحكاية المحفوظة عن نجم الدين الكُبْرَى[٢] لما دخل عليه متكلمان، أحدهما أبو عبدالله الرازي والآخر من متكلمي المعتزلة وسألاه عن علم اليقين الذي يجده العبد في قلبه من معرفة الله جل ذكره وضرورة التوجه إليه، فقالا له: بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال نعم، أنا أعلم علم اليقين، فقالا: كيف يمكن ذلك ونحن من أول النهار إلى الساعة نتناظر، فلم يقدر أحدنا أن يقيم على الآخر دليلاً؟ فقال ما أدري ما تقولان، ولكن أنا أعلم علم اليقين، فقال: صف لنا علم اليقين، فقال: علم اليقين عندنا واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها، فجعلا يقولان: واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها؟! ويستحسنان هذا الجواب.[٣].

---

(١) انظر: الفتاوى ١/ ٥٥، ٨/ ١٦٤ـ١٦٨، ٣٧٩، ومنهاج السنة ٥/ ٤١٤.

(٢) هو أبو الجناب نجم الدين أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي المحدث الصوفي، استشهد في قتال التتار سنة ٦١٨هـ، وقيل إن تسميته بالكبرى: أن أنه فاق أقرانه بفهم المشكلات وحل المعضلات، فلقبوه بالطامة الكبرى ثم حذفت الطامة، وبقيت الكبرى. انظر: السير ٢٢/ ١١١، وشذرات الذهب ٥/ ٧٩-٨٠.

(٣) انظر: هذه الحكاية في: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١٢.

ومثلها تلك الحكاية المذكورة في قول أبي جعفر الهمداني لأبي المعالي الجويني[١] لما أخذ يقول على المنبر: كان الله ولا عرش، فقال يا أستاذ: دعنا من ذكر العرش وأخبرنا عن الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط «يا الله» إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو، لا تلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني ونزل[٢].

دليل الاضطرار:

الأصل في هذا الدليل قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه المذكورات التي هي إجابة المضطر إذا دعا، وكشْفُ السوء وجَعْلُ الناس خلفاء في الأرض من خصائص ربوبيته جل وعلا، ولذا قال بعدها: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

فتأمل قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ مع قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ تعلم أن إجابة المضطرين إذا التجؤوا ودعوا وَكَشْفَ السوء عن المكروبين، لا فرق في كونه من خصائص الربوبية، بينه وبين خلق السماوات والأرض وَإِنْزَالِ الْمَاءِ وَإِنْبَاتِ النَّبَاتِ، وَنَصْبِ الْجِبَالِ وَإِجْرَاءِ الْأَنْهَارِ، لِأَنَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - ذكر الجميع بنسق واحد في سياق واحد، وأتبع

(١) هو إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ولد سنة ٤١٩ هـ، وتوفي ٤٧٨ هـ انظر: السير ١٨/ ٤٦٨-٤٧٧.

(٢) انظر: الفتاوى ٤/ ٤٣-٤٤. وانظر: «الاستقامة» ١/ ١٦٧.

جميعه بقوله: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾.

فمن صرف شيئا من ذلك لغير الله تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْإِنْكَارُ السَّمَاوِيُّ الذي هو في ضمن قوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ فلا فرق البتة بين تلك المذكورات في كونها كلها من خصائص الربوبية»(١).

وقد تقدم أن الاضطرار حاجة وقتية تنشأ من محنة أو ضائقة، ولذا فكثير ما تنكشف الحجب عن الفطرة فتزول عنها الغشاوة التي رانت عليها عندما تصاب بمصاب أليم، أو تقع في مأزق لا تجد فيه من البشر عوناً، وتفقد أسباب النجاة، فكم من ملحد عرف ربه وآب إليه بسبب بلاء أصابه، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضر نزل به. وكم من فاجر أناب إلى ربه لخطب ألمّ به.

أقسام الناس فيه:

والناس فيه على ثلاثة أقسام:

قسم لا يلتجئون إليه ولا يدعونه، وهؤلاء هم شر الأقسام.

وقسم يلتجئون إليه ويدعونه؛ لكنهم عند كشف البلاء يشركون به، ومن هؤلاء: المشركون.

وقسم يلتجئون إليه ويدعونه ويخلصون له الدعاء والتوحيد، وهؤلاء هم أهل الإيمان وهم خير الأقسام(٢).

قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٠٥.

(٢) انظر: الفتاوى ١٤/ ٣٧٠-٣٧٢.

كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يونس: ١٢] لكن حال المؤمنين يختلف عن أولئك، فقد يكون من تمام النعمة والمنة عليهم ما ينزل بهم من مصائب ومحن تجعلهم يلتجؤون إلى الله سبحانه، فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه لا يرجون أحداً سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان وذوق طعمه، والبراءة من الشرك وأهله ما هو أعظم من زوال العسر وحصول اليسر، مما لا يستحضر تفصيله بال، أو يعبر عن كنهه مقال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب(١).

أدلة ما ذكر آنفاً:

سأذكر هنا بعض الآيات الدالة على هذا النوع من الأدلة وأقف معها بعض الوقفات:

١) قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يونس].

قوله: ﴿ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [يونس: ٢٢] أي موافقة لما يهوونه من غير انزعاج ولا مشقة. ﴿ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ أي اطمأنوا بها.

---

(١) انظر: الفتاوى ١٠/ ٣٣٢-٣٣٣، ١٤/ ٣٧٠-٣٧٣، ٢٢/ ٣٨٦-٣٨٧. وانظر: أيضاً درء التعارض ٣/ ١٣٥-١٣٦.

فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح عاصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان فعرفوا أنه الهلاك فانقطع حينئذ تعلقهم بالمخلوقين، وعرفوا أنه لاينجيهم من هذه الشدة إلا رب العالمين، وحينئذ دعوا الله مخلصين له الدين، ووعدوا الله من عند أنفسهم بالإخلاص له بالعبادة كما أخلصوا له بالدعاء في هذا الموقف العصيب إن هو أنجاهم(١).

٢) ذكر الله في كتابه على صفة الاستفهام التقريري قوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل]. أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله.

ومن يكشف السوء أي البرء والشر والنقمة إلا الله وحده.؟

ومن يجعلكم خلفاء الأرض بالتمكين والرزق والتناسل والتكاثر ونحو ذلك.

﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي قليل تذكركم وتدبركم للأمور التي إذا تذكرتموها ادكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض، شامل فلذلك لا ارعويتم ولا اهتديتم(٢).

٣) الله جل شأنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل ويدل على ذلك مايلي:

قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا

---

(١) تفسير ابن سعدي ٣/ ٣٤١. وانظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٩٥.

(٢) تفسير ابن سعدي ٥/ ٥٩٢.

تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء] وقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل][1].

أي إذا لجأتم إليه في البحر أنجاكم، ثم بعد خروجكم تكفرون به وتشركون، أَوَ تظنون أن بخروجكم من البحر نلتم على الأمن من عقابه وعذابه وانتقامه، فقد يخسف بكم جانب البر، أو قد يرسل عليكم مطراً فيه حجارة [قاله مجاهد] كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [القمر: ٣٤] ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ أي ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها[2].

من حوادث الرجوع إلى الله وقت الضرورة:

١ـ قصة عكرمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه ذهب فاراً من رسول ﷺ حين فتح مكة، فركب في البحر ليدخل الحبشة، فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك عليّ عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يديه فلأجدنه رؤوفا رحيماً، فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه[3][4].

---

(١) انظر: ابن كثير ٦/ ٢١٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٥/ ٩٤.

(٣) انظر: ابن كثير ٥/ ٩٣.

(٤) أخرجه النسائي (ح ٤٠٦٧) وصححه الألباني، والطحاوي في شرح معاني الآثارأيضاً (ح ٥٠٦٤).

٢ـ قصة ابن حصين أخرج الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ لأبي: «يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟ قال أبي: سبعة، ستا في الأرض وواحدا في السماء. قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء، قال يا حصين: أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك، قال: فلما أسلم حصين قال يا رسول الله: علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال: قل اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي»[1].

٢ـ رجل من كنانة جاء بإبل له مريضة إلى صنم يقال له سعد ليشفيها ويتبرك به، فلما قرب منه نفرت وتفرق شملها، فأنشد يقول:

أتينا سعداً لنجمع شملنا
فشتّتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنومة
من الأرض لا يُدعى بِغَيٍّ ولا رشد[2]

(١) سنن الترمذي (ح ٣٤٨٣) وقال حديث غريب وضعفه الألباني وأخرجه الترمذي في الدعوات (ح ١٤٨٧) وصححه، وأخرجه الطبراني في الدعاء (ح ١٣٩٣).

(٢) الملل والنحل ٢ / ٢٣٦.

المبحث الخامس: معرفة الله بالله[(١)]:

تقدم أن العباد قد فطروا على معرفة الله جل ذكره، وأن معرفته تدعوهم إلى التوجه إليه ومن ثم الإذعان والتوكل عليه، وتبين أن هذا الأمر راسخ في نفوس البشر منذ الولادة، ولذا فإن العبد إذا استمرت فطرته سليمة فإنه يعرف ربه من جراء ما جبل وفطر عليه، كما تقدم أنه يستدل بمخلوقاته سبحانه على وجوده، فالاستدلال به وبأفعاله على وجوده أولى وأحرى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ما سوى الله من الموجودات والأعيان والصفات يستدل بها عليه، سواء كانت حية أو لم تكن، بل ويستدل بالمعدوم؛ فلأن يستدل بالحي القيوم أولى وأحرى، وقد ورد في الدعاء المأثور عن الإمام أحمد الذي علّمه لبعض أصحابه: «يا دليل الحيارى دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين»[(٢)].

وهذا يقتضي أن تسميته دليلاً باعتبار أنه دال لعباده، لا بمجرد أنه يستدل به، كما قد يستدل بما لا يقصد الدلالة والهداية من الأعيان والأقوال والأفعال.

ولهذا يذكر عن بعضهم قوله: «عرفت الأشياء بربي، ولم أعرف ربي بالأشياء»، وقال بعضهم: «هو الدليل لي على كل شيء، وإن كان كل شيء -لئلا

---

(١) انظر: كتاب الفوائد لابن القيم ٣١٨ وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ١٧، ١٨. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أنكر طائفة من أهل الكلام: كالقاضي أبي بكر وأبي الوفاء بن عقيل أن يكون من أسمائه الدليل؛ لأنهم ظنوا أن الدليل هو الدلالة التي يستدل بها، والصواب ما عليه الجمهور؛ لأن الدليل في الأصل هو المعرف للمدلول، ولو كان الدليل ما يستدل به، فالعبد يستدل به أيضاً فهو دليل من الوجهين جميعاً» الفتاوى ٢٢/ ٤٨٣-٤٨٤.

يعذبني – عليه دليلاً».

وقيل لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بم عرفت ربك؟ قال: من طلب دينه بالقياس لم يزل دهره في التباس، خارجاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، عرفته بما عَرَّف به نفسه، ووصفته بما وصف به نفسه[١]، فأخبر أن معرفة الله حصلت بمعرفة الله وهو نور الإيمان [٢].

وسئل عبد الله بن المبارك رَحِمَهُٱللَّهُ «بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه بائن من خلقه...»[٣].

والاستدلال بالله تعالى على فعله وخلقه وإيجاده معلوم سمعاً وعقلاً، وبذلك يستدل على وجود الله، وأنه حيٌّ قيوم، لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما شاء، وأنه فعال لما يشاء، وهذا قد قال العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث، ونقلوه عن السلف والأئمة، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام[٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «.. دلالة الخالق على المخلوق، والفعّال على الفعل، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العُلْوِيَّةِ، والفطر الصحيحة: أظهر من العكس.

فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه، ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق، والقرآن مشتمل عليهما.

---

(١) الفتاوى ٢/ ٣.

(٢) الفتاوى ٢/ ١٨

(٣) درء التعارض ٢/ ٥٧.

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٣-٥.

فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما الاستدلال بالصانع فله شأنه، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] أي أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١٠]

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟. وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود الليل والنهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما» [(١)].

ومن ذلك استدلال عامر بن الأكوع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بذلك على هدايته بقوله:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا[(٢)]

وتمثل بها رسول الله ﷺ يوم الخندق[(٣)].

«فإذا كان الحق الحي القيوم الذي هو رب كل شيء ومليكه ومؤصل كل

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٧١.

(٢) رواه البخارى (ح ٦٣٣١). ومسلم (ح ١٨٠٧).

(٣) رواه البخاري (٦٦٢٠).

أصل ومسبب كل سبب وعلة: هو الدليل والبرهان والأول والأصل الذي يستدل به العبد، ويفزع إليه، ويرد جميع الأواخر إليه في العلم: كان ذلك سبيل الهدى وطريقه، وكان المتوكل عليه في علمه وعمله القائل إنه لاحول ولا قوة إلا بالله مؤيداً منصوراً، فجماع الأمر: أن الله هو الهادي وهو النصير ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان].

وكل علم فلا بد له من هداية، وكل عمل فلا بد له من قوة، والواجب أن يكون الرب أصل كل هداية وعلم، وأصل كل نصرة وقوة، فلا يهتدي العبد إلا به ولا يستنصر إلا إياه.

والعبد لما كان مخلوقاً مربوباً مفطوراً مصنوعاً عاد في علمه وعمله إلى خالقه وفاطره، وربه وصانعه فصار ذلك ترتيباً مطابقاً للحق، وتأليفاً موافقاً للحقيقة، إذ بناء الفرع على الأصل، وتقديم الأصل على الفرع: هو الحق، فهذه الطريقة الصحيحة في معرفة العبد لربه، الموافقة لفطرة الله وخلقه ولكتابه وسنة رسوله»[1] خلافاً للطريقة الفلسفية الكلامية، فإنهم ابتدأوا بنفوسهم فجعلوها هي الأصل الذي يفرعون عليه، والأساس الذي يبنون عليه، وجعلوا العلوم الحسية والبديهية ونحوها هي الأصل الذي لا يحصل العلم إلا به، ثم زعموا أنهم إنما يدركون بذلك الأمور الحسابية والأخلاق وغيرها من الأمور القريبة منهم، ثم بنوا على هذه الأصول التي وضعوها سائر العلوم[2].

---

(١) الفتاوى ٢/ ١٩-٢٠ بتصرف.

(٢) انظر: الفتاوى ٢/ ٢٠-٢١.

ومما يستدل به أيضاً قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفتح] حيث يستدل بها على أن الله يفعل برسوله كل أمر محمود يؤيده وينصره به.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر أنواع المعرفة بالله: «وأعلم هؤلاء معرفة من عرف من كلامه، فإنه يعرف ربا قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال، منزّه عن المثال، بريء من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل وصف كمال، فعّال لما يريد، فوق كل شيء ومع كل شيء، وقادر على كل شيء، ومقيم لكل شيء، آمر ناه متكلم بكلماته الدينية والكونية، أكبر من كل شيء، وأجمل من كل شيء، أرحم الراحمين، وأقدر القادرين، وأحكم الحاكمين. فالقرآن أنزل لتعريف عباده به، وبصراطه الموصل اليه، وبحال السالكين بعد الوصول اليه»(١) والله تعالى أعلم.

---

(١) الفوائد لابن القيم - ١ / ١٩٩.

المبحث السادس: إجماع الأمم

من الأدلة الدالة على وجود الخالق جل وعلا ووجوب عبادته وتوحيده إجماع الأمم قاطبة سابقها ولاحقها على وجود الله سبحانه وتعالى سواء قولاً أو فعلاً أو عملاً، ولذا لو طفت الأرض لوجدت أن كلمة الله وكلمة الرب لا تخلو منها بقعة من الأرض.. ولذا لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، اللهم إلا شذاذ وحثالات لا يعتد لمثلهم بخلاف، ولا يؤبه لمثلهم بقول.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معلوم أن أحداً من الخلق لم يزعم أن الأنبياء، والأحبار والرهبان والمسيح ابن مريم[1] شاركوا الله في خلق السموات والأرض. بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال؛ بل ولا أثبت أحد من بنى آدم إلهاً مساوياً لله في جميع صفاته. بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس له شريك مثله، بل عامتهم يقرون أن الشريك مملوك له، سواء كان ملكاً أو نبياً أو كوكباً، أو صنماً كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.»[2]

بل مع ذلك كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا يقرون بالقدر أيضاً.

وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل

(١) رغم اعتقاد النصارى هذا فإنهم يزعمون أنه بعد وجود المسيح أصبح مشاركاً لله في تدبير الخلق، وفي الأمر والنهي، وأنه سيحاسب البشر، ولم يذكروا أنه شارك الله في شيء من ذلك قبل وجوده، مع تسميتهم له رب وإطلاق صفات الله عليه.

(٢) الفتاوى ٣/ ٩٦. وانظر: الفتاوى أيضاً ١٤/ ٣٨٠، ١/ ٩١-٩٢، ٣/ ١٠٥.

والنحل، والآراء والديانات، فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات، بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية الذين يقولون بالأصلين النور والظلمة، وأن النور خلق الخير والظلمة خلقة الشر(١).

فتبين من هذا أن ليس في العالم من ينازع في ربوبية الله جل وعز؛ وكونه خلق الخلق وأوجدهم فضلا عن وجوده؛ لكن غاية ما يقال: إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقاً لغير الله كالقدرية وغيرهم؛ لكنهم يقرون بأن الله خالق العباد وأفعالهم وإن قالوا إنهم خلقوا أفعالهم.

وكذلك أهل الفلسفة والمنجمون الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور، هم مع الإقرار بالخالق يجعلون هذه الفاعلات من الكواكب وغيرها مخلوقة، ولا يقولون إنها غنية عن الخالق مشاركة له في الخلق(٢).

---

(١) وبرغم أن الثنوية يقولون بوجود خالقين إلا أنهم يعتقدون أن إله الخير أقوى وأعظم من إله الشر التي هي الظلمة، انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢٤٤-٢٤٦.

(٢) انظر: الفتاوى ٣/ ٩٧-٩٨. واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١ / ٤٥٩

المبحث السابع: دلالة معجزات الأنبياء والكتب المنزلة

من أوضح دلائل الربوبية دلالة المعجزة التي جاءت بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومما يلحق بدليل المعجزات دلالة الكتب المنزلة على أنبيائه ورسله حيث تضمنت كلام الله جل وعلا الذي هو هدى ونور للقلوب والعقول والأبدان من اتبعها رشد ومن أعرض عنها هلك.

وما زال بين أيدينا أعظم كتاب أنزل على رسول، القرآن العظيم الذي حوى كل خير وحذّر من كل شر، فيه شفاء لما في الصدور والأبدان، من اتبعه اهتدى ومن أعرض عنه ضل وغوى، تحدى الله به أفصح العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، والكتب المنزلة هي جزء من المعجزات التي أوتيها رسل الله ولذا كان الكلام على المعجزة متضمن الكلام على دلالة الكتب المنزلة. والكلام على هذا الدليل من عدة أوجه:

أولا: تعريف المعجزة:

المعجزة لغةً: أصل المعجزة مأخوذ من (العَجْز) «والعَجْزُ الضعف وعدم القدرة، تقول: عَجَزتُ عن كذا، أَعْجِزُ بالكسر عَجْزاً ومَعْجِزَةً ومَعْجزاً بالفتح» قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] قال الزجاج معناه ظانِّين أَنهم يُعْجِزُوننا وفي التنزيل العزيز ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢] والمعنى ما أَنتم بمُعْجِزِينَ في الأَرض ولا من في السماء بمُعْجِزٍ، قال الأَخفش: معناه ما أَنتم بمُعْجِزِين في الأَرض ولا في السماء، أَي: لا تُعْجِزُوننا هَرَباً في الأَرض ولا في السماء والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء(١).

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – دار العلم للملايين (٣/ ٨٨٣). وانظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٨١٧).

و في القاموس: ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة.

المعجزة اصطلاحاً: اختلفت عبارات أهل العلم في تعريفهم للمعجزة على أقوال[1] يمكن جمعها بأن نقول المعجزة هي: أمر خارق للعادة يجري على أيديَ الأنبياء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة.

إلا أنه مما ينبغي التنبيه عليه بأن إطلاق لفظ (المعجزة) على ما يأتي به النبي لإظهار صدقه في دعواه للنبوة لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا على ألسنة الأئمة المتقدمين وإنما الذي ورد لفظ الآية، والبينة، والبرهان[2].

ثانيا: وصف المعجزة في النصوص الشرعية:

وصفت المعجزة بأنها آيات بينات، والآية هي: العلامة، وجمع الآية آى وآياى وتأتي على ثلاثة معان:

أحدها: جماعة الحروف؛ قال أبو عمرو الشيباني: تقول العرب: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم.

ثانيها: الآية: العجب؛ تقول العرب: فلان آية في العلم وفي الجمال، قال الشاعر:

آية في الجمال ليس له في الـ حسن شبه وما له من نظير

فكأن كل آية عجب في نظمها والمعاني المودعة فيها

(١) انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٤٩، و الإتقان للسيوطي ٤/ ٣، و شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ١/ ١٥٢، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. شرح جوهرة التوحيد للقاني ص١٣٣.

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٧٠)

ثالثها: العلامة؛ تقول العرب: خربت دار فلان وما بقي فيها آية، أي: علامة، فكأن كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ[١].

ووصفت الآيات بأنها بينات، وهذا بليغ لظهورها وجلائها مما لا يدع لأحد بعد معاينتها أدنى شك في صدق ما جاءت به الأنبياء، قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وتسمية المعجزات بالآيات البينات كثير في القرآن الكريم.

ومما جاء في كتاب الله في وصف المعجزات؛ بأنها بصائر كما في شأن إعجاز القرآن الكريم وتحدّى ربنا جل وعلا أفصح العرب بأن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] فلشدة حصول البيان بها نزل العلم بها منزلة المبصر بالعين، يقول البقاعي: «أي بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب، أو حجج بينة وبراهين نيرة تغني عن غيرها فالكلام خارج مخرج التشبيه البليغ»[٢].

وبهذا وصفت معجزات موسى عليه السلام، قال تعالى ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] «أي بينات ثابتاً أمرها علياً قدرها، يبصر بها صدقي»[٣].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٦٤.

(٢) انظر: وح المعاني في تفسير القرآن العظيم للألوسي ٥/ ١٤٠.

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٤/ ٤٣٣).

ثالثا: كيف كانت معجزات الأنبياء دليلا على تفرد الله جل جلاله بالربوبية:

معجزات الأنبياء من أظهر الدلائل على صدقهم وعلى نبوتهم وأنهم رسل من عند الله، كما أنها من أظهر الدلائل على ربوبية الله جل جلاله وتفرده بالربوبية وذلك أن هذا الكون يسير وفق سنن إلهية تتكرر للإنسان حتى اعتادها وأصبحت من الأمور التي لا يجادل فيها عقل كطلوع الشمس من المشرق وتعاقب الليل والنهار، وتكون الماء من السحاب ونزوله على الأرض ونبات النبات بسببه، وبالجملة كون كل أمر له سبب كوني يعقله الإنسان، فإذا وردت المعجزة على غير العادة السالمة من المعارض دلت على أن ذلك الأمر إنما حدث من محدث قوي فعال لما يريد، وبالجملة يمكن أن نقول بأن هذا الدليل مبني على مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى: حدوث هذه الآيات المعجزة للبشر على خلاف معهودهم وما يدركونه من أسباب.

المقدمة الثانية: أن حدوثها على تلك الصفة يدل على أن لها مسببا موجدا أوجدها على غير تلك الهيئة المعهودة.

النتيجة: لا بد وأن يكون الله جل جلاله هو الذي أوجد هذه الآيات على جهة تخالف ما سنّه كونا.

قال الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معجزات الأنبياء كثيرة:، وهي إما حسية تشاهد بالبصر أو تسمع كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حية، وكلام الجمادات، ونحو ذلك، وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن، وهذه إحدى الطرق القرآنية في إثبات الربوبية، ذلك أن المعجزة كما تدل على

صدق الرسل، فإنها تدل أيضًا على ربوبية المرسل وألوهيته، وذلك لما يأتي:

أولًا: أن المعجزة تدل بنفسها على ثبوت الخالق جل وعلا كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة، ولهذا يُسَبَّح الرب عندها ويُمَجَّد ويُعَظَّم ما لا يكون عند المعتاد، ويحصل بها في النفوس ذلة من ذكر عظمته ما لا يحصل للمعتاد، إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها.

ثانيًا: أنه إذا تقررت بها النبوة والرسالة فقد تقررت بها الربوبية كذلك، إذ لا يكون هناك نبي ولا رسول إلا وهناك مرسل، فالإقرار بالرسالة يتضمن الإقرار بالربوبية بلا نزاع.

ثالثًا: إن النبوة إذا ثبتت بالمعجزة، فقد صارت أصلًا في وجوب قبول جميع ما دعا إليه النبي من حقائق الربوبية والألوهية وغيرها.

وقد جاء القرآن بهذه الطريقة في قصة فرعون، فإنه كان منكرًا للرب جلا وعلا، فحاجه موسى في ذلك، ثم عرض عليه الحجة البينة التي جعلها دليلًا على صدقه في كونه رسول رب العالمين، وفي أن له إلهًا غير فرعون، فاستدل بالمعجزة على كلا الأمرين: ربوبية الله جل وعلا، وكونه مرسلًا من عنده تعالى.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ

فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٣٣] فقد أقام عليه الحجة أولًا بالآيات التي يستلزم العلم بها العلم بالخالق جل وعلا، فلما عاند وكابر رده إلى دلالة المعجزة التي هي أبلغ في الدلالة على المقصود ليثبت بها كلا الأمرين: الربوبية والرسالة.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣ - ١٤] فبين أن المعجزة تدل على الرسالة والوحدانية، فإذا أثبتت المعجزة أحدها فقد أثبتت الآخر»[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعجزات قد يُعلم بها ثبوت الصانع وصدق الرسول معاً»[(٢)].

رابعا: أمثلة على معجزات الأنبياء:

معجزات الأنبياء كثيرة منها:

١) معجزة ناقة نبي الله صالح عليه السلام حيث طلب منه قومه ناقة من صخرة صماء وبصفات معينة، فدعا ربه فانفطرت الصخرة عن ناقة عظيمة على الصفة التي طلبوها فكانت آية من آيات الله الدالة على ربوبيته وعظمة وصدق رسله، قال تعالى حاكيا قول قومه: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [الشعراء: ١٥٤ - ١٥٦].

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص: ١٢٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٤٢.

٢) جعل الله النار التي ألقي فيها خليل الله إبراهيم عليه السلام بردا وسلاما عليه. قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ ﴾[الأنبياء: ٦٨ -٦٩].

٣) أما موسى عليه السلام فقد أوتي تسع آيات معجزات قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١ ﴾[الإسراء: ١٠١].

«قال بعض أهل العلم: هذه الآيات التسع، هي: العصا، واليد، والسنون. والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات.

وقد بين جل وعلا هذه الآيات في مواضع أخر. كقوله: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣ ﴾[الشعراء]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[الأعراف:]١٣٠، وقوله: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣] وقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾[الأعراف: ١٣٣] إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما ذكرنا. وجعل بعضهم الجبل بدل «السنين» وعليه فقد بين ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾[الأعراف: ١٧١] ونحوها من الآيات»[(١)].

ومن تلك الآيات تحول العصا إلى حية عظيمة في حال ألقاها إلى الأرض، وكذا يده إذا أدخلها في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ كالقمر من غير سوء، قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٨/ ٣٥٤)

عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ١٧ - ٢٣].

٤ـ ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيورا بإذن الله، ويمسح الأكمه -وهو الأعمى- والأبرص فيبرآن بإذن الله، وينادي الموتى في قبورهم فيجيبون بإذن الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

٥ـ وأما معجزات نبينا عيه الصلاة والسلام فأكثر من أن تذكر، ومن أعظمها القرآن العظيم الذي هو أعظم معجزات الرسل على الإطلاق. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وقال سبحانه ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر شقين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم. قال ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ١ - ٢] ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعراج. قال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وهذا المعجزات كما تقدم تدل على ربوبية الله جل وعلا من الأوجه السابق ذكرها، كما أنها تدل على صدق نبوة الأنبياء. والله تعالى أعلم.

المبحث الثامن: دليل التمانع

دليل التمانع من أدلة المتكلمين وعلى رأسهم المعتزلة استدلوا به على إثبات الخالق جل وعلا، وتبعهم في ذلك الأشاعرة واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٢] وهذا الاستدلال غير مسلّم لهم جملة وتفصيلا، وذلك لأنه مبني عندهم على أن غاية ما جاء به الرسل هو توحيد الربوبية، ولذا أنزلوا الآية عليه، والصحيح خلاف ذلك، لأن العرب الذين بعث لهم الرسول ﷺ كانوا مقرين بالربوبية مؤمنين بها وكذا سائر الأمم التي بعثت لهم الأنبياء، ولذا كان كلهم مجمعين على الدعوة إلى توحيد العبادة لا الربوبية، وهذا بيّن ظاهر لكل من سبر سيرهم وقرأ القرآن(١).

ودليل التمانع مبني على أنه يمتنع شرعاً وعقلاً وجود فاعلين تامي القدرة والإرادة في مفعول واحد هما عليه تاما القدرة والإرادة؛ لأن من كان تام القدرة والإرادة والاستقلال بالفعل وجب وجود المفعول له وحده، وإذا كان الآخر كذلك وجب وجود المفعول له وحده، وإذ قدر اثنان مريدان لأمر من الأمور فلابد من أمرين:

إما أن ينفرد كل واحد منهما بخلقه وإيجاده، هذا ممتنع عقلاً؛ لما يعلم يقيناً من ترابط هذا الكون وانتظام أمره مما يدل على أن له رباً واحداً وموجداً واحداً لا شريك له ولا مثيل ولا نظير.

وإما أن يعلو بعضهم على بعض فلا يرضى كل منهما بوجود الشريك في

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص٥٣.

الخلق، وهذا أيضاً ممتنع في حق الله؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لفسدت السماوات والأرض لما سيقع من الشريكين من التنافس والاقتتال على الملك.
قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[الزمر][1].

وقد ورد معنى هذا الدليل في كتاب الله قال - تعالى -: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[المؤمنون].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه - سبحانه - إله، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره، وتفرده بالإلهية دونه فعل. وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب به، كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضاً بممالكهم.

وإذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر، والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد، وملك واحد، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم عليه، ولا يمتنعون من حكمه عليهم، فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون»[2].

---

(١) انظر: المطالب العالية للفخر الرازي ٢/ ١٣٥. منهاج السنة ٣/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) الصواعق المرسلة ٢/٤٦٣ - ٤٦٤، وانظر: شرح الطحاوية ١/٣٨ - ٣٩، درء التعارض٩/ ٣٥٥ - ٣٥٩.

فتبين بهذا أنه لا يمكن أن يجتمع فاعلان تامي القدرة والإرادة في مفعول واحد؛ لأنه يستلزم وجود النقيضين، فعند اختلافهما مثلا في أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما؛ أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين المتناقضين، والثاني أيضاً ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، كما أنه أيضاً يستلزم عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلها، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجز لا يصلح للإلهية، وإن كانت الآية سيقت للدلالة على عجز المعبودات من دون الله جل شأنه وتقرير وجوب عبادته وحده لكن يستدل بها على ذكر[(١)].

فإذا كان الاستقلال بالفعل والغنى عن الغير من خصائص رب العالمين، كان التنزه عن شريك في الفعل والمفعول من خصائص رب العالمين، فليس في المخلوقات ما هو مستقل بشيء من المفعولات، وليس فيها ما هو وحده علة تامة، وليس فيها ما هو مستغنياً عن الشريك في شيء من المفعولات، بل لا يكون في العالم شيء موجود عن بعض الأسباب إلا ويشاركه سبب آخر له)[(٢)].

وهذا الدليل من أدلة المتكلمين التي يستدلون بها على وجود الرب جل وعلا، وهو دليل صحيح عقلاً.[(٣)]

وهناك أدلة استدل بها الفلاسفة والمتكلمون على إثبات وجود الله ﷻ إلا

(١) انظر: الفتاوى ٢٠/ ١٧٤-١٨٠. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٨٧.

(٢) الفتاوى ٢٠/ ١٨١، وانظر: منهاج السنة النبوية ٢/ ١٨٢، ٣/ ٣٠٤ - ٣٣٤.

(٣) انظر: درء التعارض ٩/ ٣٥٤.

أنها لا تخلو من مأخذ، وقد نقدها كثير من أهل السنة لكونها لا تخلو من خلط الحق بالباطل[(١)] إلا أن ما في القرآن من الدلائل على وجود الله ووجوب عبادته مما تقدم آنفاً غنية عن غيره.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر: درء التعارض ٣/ ٧٢ وما بعدها. ومما ينبغي التنبيه عليه أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما يذكر مثل هذه الأدلة لينقدها، لا ليقررها ويستدل بها.

الخاتمة

وبعد حمد الله والثناء عليه بإتمام هذا البحث يطيب لي أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها:

١) أهمية العناية بدلائل الربوبية حيث اعتنى الشارع بذكرها وألزمنا بالتفكر فيها.

٢) أن دلائل الربوبية على نوعين ظاهر لكل أحد وقسم لا يطلع عليه إلا من هداه الله له.

٣) تبين من خلال البحث أن أهل العلم أولوا هذا الجانب عناية تنبع من عناية الله لذكره في كتاب وذكر رسوله ﷺ له في سنته.

٤) معرفة الله نوعان عامة وهي: الإقرار بوجوده وربوبيته، وخاصة لأهل الإيمان بشهود آلائه وكمال محبته وإجلاله.

٥) أن سياق دلائل الربوبية في كتاب الله ليس مقصودا به إثبات ربوبيته جل شأنه، وإنما الاستدلال بذلك على تفرده بالعبادة والتأله.

٦) حاجة العباد إلى هذا النوع من الموضوعات ملحة للوصول إلى كمال العبودية.

٧) دليل الفطرة من أظهر الأدلة التي لا يقدر أحد على فعله.

٨) دليل الخلق من أظهر الأدلة وأبينها، وهو مبني على أصلين؛ أحدهما: أن كل المخلوقات وجدت بعد أن لم تكن، وثانيها: أن كل موجود لابد له من موجد.

٩) أكثر الله تعالى من ذكر دليل الخلق بأساليب متنوعة وطرق مختلفة

ومرد ذلك والله تعالى أعلم إلى دلالة العقل ودلالة الحس.

١٠) دليل الحس على قسمين النظر في الآفاق، والتفكر في الأنفس.

١١) دليل العناية مبناه على أصلين: أن جميع المخلوقات موافقة لوجود الإنسان، الثاني: أن هذه الموافقة بالضرورة أوجدت من موجد حكيم عليم.

١٢) دليل الإتقان ورد في كتاب الله في ثلاثة محاور: الدقة والاتقان والهداية للمصالح والمنافع.

١٣) دليل الضرورة يتضمن أمرين: عام وهو ما جبل عليه الإنسان من طلب اللجوء إلى الله والاستعانة به عند حلول المصائب، الثاني: خاص وهو العلم الضروري لازم للإنسان لا ينفك عنه و هو حال أهل الإيمان.

١٤) تفترق الضرورة عن الاضطرار بأن الضرورة حاجة ملحة للإنسان لا تنفك عنه، أما الاضطرار فهو حاجة وقتية تنشأ عن محنة وضائقة.

١٥) ينقسم الناس في حال الضرورة في لجوءهم إلى الله إلى ثلاثة أقسام: منهم من لا يلتجئ أصلا، ومنهم من يلتجئ في حال الضرورة ويكفر في حال الرخاء، وخيرهم من يلتجئ في حال الضرورة ويخلص لله العبودية في كل حال، وهؤلاء هم المؤمنون.

١٦) أن معرفة الله بالله دليل لا يدركه إلا الخواص من المؤمنين الكمل العارفون بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله.

١٧) أجمعت الأمم على وجوب الإقرار بربوبية الله والخضوع لملكه وقهره.

١٨) دليل التمانع دليل عقلي شرعي دل على وجوب إفراد الله بالتوحيد.

فهرس المراجع والمصادر

١) أحكام أهل الذمة أحكام أهل الذمة للعلامة محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الناشر: رمادي للنشر، دار ابن حزم، الدمام – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧ تحقيق: يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري.

٢) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣) الاستقامة لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – الطبعة الأولى، ١٤٠٣ تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٤) الأسماء والصفات للبيهقي الأسماء والصفات للبيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر ٤٥٨ هجرية المحقق: عبد الله بن محمد الحاشدي الناشر: مكتبة السوادي جدة. الطبعة: الأولى.

٥) أضواء البيان أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان الطبعة: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

٦) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٧٢٨هـ دراسة وتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، السابعة، ١٤١٩هـ

٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر الضبي الباقلاني، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري الطبعة الثانية،

مؤسسة الخانجي ١٣٨٢هـ.

٨) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٨٨٦م

٩) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد لمحمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

١٠) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ط دار المعرفة سنة النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

١١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الطبعة: الرابعة الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤٢٣هـ.

١٢) بيان تلبيس الجهمية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس تعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطابع الحكومة السعودية بمكة المكرمة ١٣٩٢هـ.

١٣) البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، الناشر: دار صعب - بيروت الطبعة الأولى، ١٩٦٨ .تحقيق: المحامي فوزي عطوي.

١٤) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

١٥) التدمرية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو

العباس. الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، مصر الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

١٦) تفسير ابن كثير لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.

١٧) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير ابن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: لأولى، ١٤٢٠ هـ

١٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧.

١٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمن السعدي، ت/ محمد النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٢٠) جمهرة اللغة محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين، سنة النشر: ١٩٨٧.الطبعة الأولى.

٢١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٤تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر،د. حمدان محمد.

٢٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد الهاشمي. تحقيق: لجنة من الجامعيين -الناشر: مؤسسة المعارف - بيروت -الطبعة: الثانية

٢٣) الحيوان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر دار الجيل ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م لبنان/ بيروت.

٢٤) الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي الناشر: دار الفكر - بيروت ١٩٩٣.

٢٥) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١ تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢٦) دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ

٢٧) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٢٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: على عبد البارى عطية الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥ هـ

٢٩) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م الطبعة الأولى تحقيق: د. يوسف على طويل.

٣٠) السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف - الرياض

٣١) سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٣٢) السنن الكبرى للنسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

٣٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٣٤) شرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي تحقيق: أحمد محمد شاكر الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية.

٣٥) شرح معاني الآثار المؤلف: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٣٩٩ تحقيق: محمد زهري النجار.

٣٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا. ١٤٠٢هـ. الشربتلي.

٣٧) صحيح البخاري تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي المطبعة السلفية.

٣٨) صحيح مسلم تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي طبعة: دار إحياء التراث العربي فيصل الحلبي.

٣٩) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق د/ علي الدخيل الله، ط/ دار العاصمة الرياض ١٤٠٨هـ.

٤٠) طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

٤١) العقيدة في الله للدكتور عمر بن سليمان الأشقر طبعة مكتبة الفلاح ١٩٧٩م.

٤٢) فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صديق حسن القنوجي، تحقيق عبد الله الأنصاري طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر.

٤٣) الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها لعلي بن عبد الله بن علي القرني طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٤٤) الفوائد لابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣.

٤٥) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر: دار ومكتبة الهلال تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

٤٦) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر: دار ومكتبة الهلال تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

٤٧) كتاب الكليات لأبى البقاء الكفوي معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

٤٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٤٩) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الأولى.

٥٠) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الناشر: دار الوفاء

الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ.

٥١) مدارج السالكين للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تعليق الفقي، طبعة: دار الكتب العلمية.

٥٢) المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٦ تحقيق: د.مفيد محمد قميحة.

٥٣) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية.

٥٤) المطالب العالية من العلم الإلهي فخر الدين الرازي تحقيق أحمد حجازى السقا، الناشر دار الكتاب العربي.

٥٥) المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى ٣٦٠هـ تحقيق وتخريج، حمدي عبد الحميد السلفي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق.

٥٦) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٧) مفتاح دار السعادة، للإمام ابن القيم: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، طبعة مؤسسة الأندلس للنشر والتوزيع ـ طليم ـ مصر. ١٤١٤هـ.

٥٨) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى عام ٥٠٢هـ بتحقيق محمد كيلاني ط/ الحلبي ١٣٨١هـ.

٥٩) الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الناشر: دار المعرفة بيروت، ١٤٠٤ تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٦٠) منهاج السنة النبوية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى، ١٤٠٦ تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٦١) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد للدكتور: إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان الناشر: دار ابن القيم - دار ابن عفان سنة النشر: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤

٦٢) نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ط مؤسسة ابن عثيمين الخيرية ـ دار ابن الجوزي.

٦٣) النبوات ـ لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ط/ دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ.

جدول المحتويات

الموضوع الصفحة

ملخص البحث ١٣
خطة البحث ١٧
أهمية البحث: ١٨
منهج البحث: ١٩
الدراسات السابقة: ٢٠
المطلب الأول: في تعريف الدلائل في اللغة والشرع ٢٣
أولا: معنى الدليل في اللغة: ٢٣
ثانياً: معنى الدليل في الشرع: ٢٣
المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح ٢٦
أولا: تعريف التوحيد في اللغة ٢٦
المطلب الثالث: أهمية دلائل ربوبية الله: ٢٨
تمهيد ٢٨
اعتراض وجوابه: ٢٩
تمهيد ٣٥
المبحث الأول: دليل الفطرة. ٣٦
معنى الفطرة في اللغة: ٣٦
المراد بالفطرة في الاصطلاح الشرعي: ٣٧
الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والعقل: ٣٨
أولا: دلالة الكتاب: ٣٨

ثانياً: دلالة السنة: ٤٤
ثالثاً: دلالة العقل:...٤٥
المبحث الثاني: دليل الخلق ٤٩
دليل الخلق ينبني على مقدمتين ونتيجة: ٤٩
المقدمة الأولى: أن هذه الموجودات مخلوقة موجودة بعد أن لم تكن موجودة...٤٩
المقدمة الثانية: كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد.٤٩
دلالة العقل:..٥٠
دليل الحس:...٥٣
أولا: النظر في الآفاق:..٥٤
الثاني: التفكر في الأنفس:....................................٥٦
المبحث الثالث: دليل العناية:..................................٦٠
دليل العناية مبني على أصلين: ٦٠
الأصل الأول: ٦٠
المحور الأول: الدقة والإتقان:..................................٦١
المحور الثاني: التقدير: ٦٣
المحور الثالث: الهداية: ٦٤
الأصل الثاني: ٦٦
أمثلة على ذلك ٦٦
المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار........................٦٨
معنى الضرورة والاضطرار في اللغة:............................٦٨
معنى الضرورة والاضطرار في الاصطلاح: ٦٨

الفرق بين الضرورة والاضطرار:..٦٨
دليل الضرورة على معرفة الله..٦٩
دليل الاضطرار:..٧١
أقسام الناس فيه:..٧٢
أدلة ما ذكر آنفاً:..٧٣
من حوادث الرجوع إلى الله وقت الضرورة:..٧٥
المبحث الخامس: معرفة الله بالله:..٧٧
المبحث السادس: إجماع الأمم..٨٢
المبحث السابع: دلالة معجزات الأنبياء والكتب المنزلة..٨٤
أولا: تعريف المعجزة:..٨٤
ثانيا: وصف المعجزة في النصوص الشرعية:..٨٥
ثالثا: كيف كانت معجزات الأنبياء دليلا على تفرد الله جل جلاله بالربوبية:..٨٧
رابعا: أمثلة على معجزات الأنبياء:..٨٩
المبحث الثامن: دليل التمانع..٩٢
الخاتمة..٩٦
فهرس المراجع والمصادر..٩٨
جدول المحتويات..١٠٦